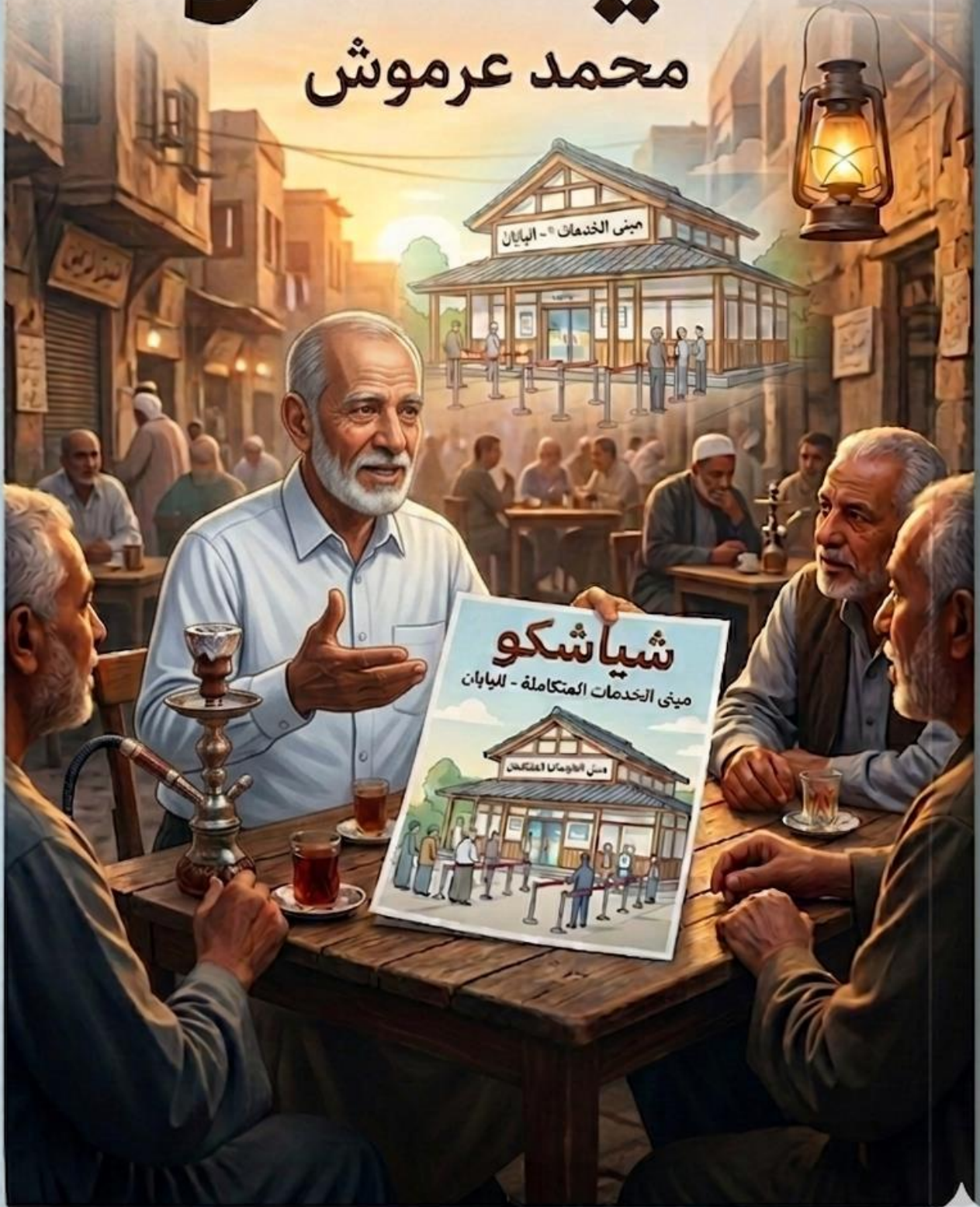


# شياشكو

محمد عرموش



# شيء شكر

رواية

بقلم

محمد عبد العزيز عرموش

رشف الأستاذ بهجت رشفة من فنجان القهوة الذي أمامه ثم تنهد تنهيده طويلة ثم قال :

- شياشكو

فتعجب الأسطي فرغلي وتبادل النظرات مع عم حسين فقد كانت هذه أول مرة يسمعون هذه الكلمة العجيبة من الأستاذ بهجت ، وبالرغم من أنهم تعودوا علي سماع الأعاجيب منه وهم يجلسون معه كل ليلة تقريباً علي المقهي بالحي الشعبي المتواضع الذي يعيشون فيه ، فهو أكثرهم إطلاعاً وخبرة بالحياة ودائماً ما يحدثهم كل ليلة عن تجاربه وقراءاته بل وتأملاته وأفكاره ، ويقرأ لهم من دفتره الخاص ، فيجلسون معه يعدون أنفاسه وينصتون إليه ويعرضون عليه مشاكلهم ويقترح عليهم الحلول المناسبة لها فهو بالنسبة لهم الناصح الأمين والعالم ببواطن الأمور ، والأستاذ بهجت له تاريخ طويل ومثير وحافل بالتجارب والرحلات والأسفار ولكن حظه كان قليلاً كما يقول دائماً فلم يحقق أبداً ما كان يحلم به ،

وبعد صمت دام لفترة سأل عم حسين الأستاذ بهجت علي استحياء : لا مؤاخذة يا أستاذنا هي الكلمة اللي قلتها لها علاقة بمشكلكي ؟

- كلمة إيه ؟

- شيكاوي ، شيكاشو حاجة زي كده

- آه قصدك شياشكو ؟

- أيوه يا أستاذ هي دي ، مالها ومال المشكلة اللي قلتها لحضرتك دلوقتي ؟

- أكيد في علاقة طبعاً المهم سيبك من شياشكو علشان ده موضوع كبير كبير قوي وفي

يوم من الأيام حاوصفه لكم المهم احنا كنا بنقول إيه ؟

كانت ذاكرة الأستاذ بهجت ضعيفة جداً ربما لكبر سنه أو للحظات الشroud التي كانت تغلب عليه أحيانا بل في كثير من الأحيان فقد كانوا يعرفون عنه ذلك جيداً فهو ينسي حتي في المجلس الواحد ماذا كان يقول منذ قليل ، فتراه يسأل دائماً هذا السؤال : احنا كنا بنقول إيه ؟ وفي الحقيقة كان الموضوع الذي دار الحوار حوله قبل هذه الكلمة الغريبة يتناول مشكلة عم حسين مع أحد المصالح الحكومية بسبب نقص بعض الأوراق المطلوبة لإنهاء مصلحته وعندما ذكره عم حسين بالموضوع أجاب علي الفور :

- الموضوع ده حلّه عند الأسطي فرغلي لأنه كان في نفس المصلحة دي امبارح وقال

لي إنه خلص كل حاجة بمنتهي السهولة وممكن يقولك علي الأوراق المطلوبة بدل ما

الموظف يوديك ويجيبك كتير

فنظر عم حسين في استنكار شديد إلي الأسطي فرغلي وتعجب كيف لم يخبره بذهابه لنفس المصلحة وإنهاء جميع الإجراءات بسهولة وهو يعلم أن هذه المشكلة تؤرقه منذ فترة ، وأصاب

الأسطي فرغلي الارتباك وغضب غضباً شديداً من الأستاذ بهجت وسأل نفسه ألهذا الحد بلغ ضعف ذاكرته ؟ فلقد طلب منه عدم التحدث في هذا الموضوع أمام عم حسين لأنه سيصيبه بالإحراج الشديد وخصوصاً أنه لن يمكنه مساعدة عم حسين بأي حال من الأحوال لأنه لا يعرف ما هي الأوراق المطلوبة فهو مجرد سائق عند حشمت بك وهو الذي أرسله إلي هذه المصلحة وعندما أعطي الأوراق للموظف وأخبره برغبة حشمت بك في إنهاء الموضوع بأقصى سرعة أخذ الأوراق بلا تردد ولم يطلع عليها أو يفحصها ولكنه طلب من الأسطي فرغلي أن يسلم علي حشمت بك ويفكره بالموضوع الخاص بابنه ويرجوه أن يهتم به وسط مشاغله الكثيرة ، وبالتالي فإن الأسطي فرغلي شخصياً بالفعل ليس بإمكانه مساعدة عم حسين وخاصة في مسألة استكمال الأوراق المطلوبة ،

ورغم كل هذا كان لابد أن يرد علي عم حسين ولكنه تكلم بارتباك وكاد أن يتلعثم فقال

- أنا كنت رايح هناك علشان حشمت بك ومش عارف حاجة عن الموضوع ده
- بس كان لازم تقول لي علي الأقل زي ما قلت للأستاذ بهجت
- أنا كنت محرج منك معلش ومفيش في أيدي حاجة اعملها لك

وهنا تذكر الأستاذ بهجت وعده للأسطي فرغلي بعدم إفشاء سره وقرر أن ينقذه من الموقف المحرج الذي سببه له فقام بتعميم الموضوع وقال :

- انت عارف يا عم حسين إن الواحد لازم يكون عارف حد في أي مكان يروح له علشان يقضي مصلحته أو علي الأقل يقدم خدمه في المقابل وأحياناً الموضوع بيوصل لدفع رشاوي كمان في بعض الأماكن
- بس المفروض أن كل واحد يخدم الناس كلها بدون معرفة أو عرض خدماته
- انت فاكر نفسك رايح شياشكو ؟
- تاني يا أستاذ بهجت بتقول الكلمة العجيبة دي وأنا بصراحة مش ناقص تريقة
- لا لا دي مش تريقة خالص لكن للأسف الواحد بيحس بمرارة جامدة لما يسمع عن بلاد ما بيحتاجش فيها أي حد معرفة أي حد تاني في أي مكان علشان ياخذ حق من حقوقه
- يعني لو واحد غلبان زي حالاتي وما يعرفش حد وكمان مفيش معاه فلوس يعمل إيه ؟
- مش عارف أقولك إيه يا عم حسين لكن معلش أكيد كل الناس في يوم من الأيام حتعرف إننا كلنا لازم نخدم بعض وإن الجدعنة اللي بيقولوا عليها مش لازم تكون مع المعارف والأقارب بس وعلي رأي المعري

الناس للناس من بدو وحاضرة.. بعض لبعض وإن لم يشعروا خدماً

وهنا تكلم الأسطي فرغلي وقال : يا أستاذ خلي الشاعر يقول اللي هو عاوزه لكن اللي بيحصل فعلاً إن كل واحد لازم يكون يعرف يعمل لنفسه كل حاجة ويعرف ناس في كل حته ، أصل عدم المؤاخذة كل واحد بيخلص شغله ناقص حته صغيرة وانت تبقي تكملها لنفسك فلزام تفهم في الكهرباء والميكانيكا والسباكة والأدوية وكافة شئ وبكده وقتك كله بيروح وتلاقي نفسك انت كمان بتعمل شغلك ناقص حته

فقال الأستاذ بهجت : اللي انت بتقوله ده اسمه الذكاء الفردي ان الواحد يفهم في كل حاجة وده بينتشر في مجتمعات الغباء الجماعي لما يكون المجتمع ما بيخدمش الناس كلها بنفس الطريقة فيضطروا يعملوا لنفسهم كل حاجة فوجه الأسطي فرغلي كلامه نعم حسين وسأله :

- بدمتك يا عم حسين مش انت بتصلح لا مؤاخذة أهدية ؟
- أيوه دي شغلتي من زمان وارثها أباً عن جد بس إيه ، ، حاجة تعجبك ده حتي الواد ابني في الدكان شغال بعد ما فشل في الدراسة وبقي أحسن مني كمان
- طيب لما يبجي واحد يعرفك وعزيز عليك مش بتتقي أنضف حاجة وتحطها له أما لما بيبجي زبون طياري مش بتخلص الشغلانة وخلص
- يعني انت يا اسطي فرغلي لو جيت عندي مش عايزني أتوصي بيك تبقي صحوبية إيه دي ؟

وهنا رفع الأستاذ بهجت صوته وقال بعصيبة : يعني انت نفسك بتعمل كده وانت لسه كنت بتقول المفروض أن كل واحد يخدم الناس كلها بدون معرفة فمستني إيه من باقي الناس ، يا عم حسين ركز معايا شوية العمارة كلها مبنية بنفس الطوبة كل الطوب زي بعضه بس في طوبة جه مكانها في البدروم وطوبة جه مكانها في أعلي دور ولو بدلنا أماكنهم كل واحد حيعمل اللي التاني بيعمله

- انت عايز يا أستاذ تساوي بين تغيير نص نعل وبناء عمارة ؟
- أيوه طبعا المبدأ واحد ولو حطيت خامات وحشة الجزمة حتبوظ بسرعة والعمارة حتقع علي اللي فيها

فقال الأسطي فرغلي بعد أن احتدم النقاش وارتفعت أصواتهم :

- بس لما العمارة حتقع في ناس حتموت ولما الجزمة حتبوظ مفيش مشكلة كبيرة حتحصل

- وانت إيش عرفك الجزمة دي حتبوظ إمتي ؟ مش ممكن تتقطع وهو بيعدي شارع ويقع وعربية تخبطه ؟ وبعدين الثقافة واحدة والفكرة واحدة وبكده الواحد حيعيش مرعوب في المجتمع مش عارف يستخدم أي حاجة في حياته أو يأكل ويشرب أي حاجة لأن كل حاجة معمولة بنفس الفكر ونفس الثقافة ومش مضمونة
- يا أستاذ ما تكبرش الموضوع ما الدنيا كلها خرابانة وما جتش علي جزمة عم حسين
- ما هي دي الشماعة اللي بتريح الضمير ، ، كل واحد بيقول الدنيا خرابانة الدنيا خرابانة علشان يبزر البلاوي اللي بيعملها ده حتي لو طلبت فنجان قهوة وجالك من غير وش وسألت فين الوش يقولك وش إيه يا أستاذ ما الدنيا خرابانة ونتيجة لارتفاع حدة المناقشة بين الأستاذ بهجت وجلسائه ووصول أصواتهم لكل مكان في المقهي تدخل المعلم سيد صاحب القهوة في الموضوع وتوجه إليهم متسائلاً في فضول :
- إيه الحكاية يا جماعة ده صوتكم جايب لآخر الشارع
- فرد الأستاذ بهجت معتذراً :
- لا مؤاخذة يا معلم أصل عم حسين عنده مشكلة وبنحاول نشوف له حل علشان يخلص مصلحته
- طب ماقلتوش ليه من الأول ده أنا أعرف ناس كتير في مصالح كتير وحبائبي في كل حنة ؟
- تعرف حد في شياشكو ؟
- شي إيه ؟
- فقاطعه عم حسين مسرعاً :
- سيبك يامعلم من الأستاذ انت عارف دماغه العالية وخليك معايا لو سمحت ، انت صحيح يا معلم ممكن تساعدني ؟
- أيوه طبعاً ده احنا ولاد حنة واحدة يا عم حسين بس طبعاً ما ينفعش نكلم حد دلوقتي علشان الوقت اتأخر وحيبقي فيها إزعاج وقله مزاج فياريت بكرة الصبح تظطر وتظبط نفسك وتعدي عليا ونعمل اللازم
- بس انت حتي ما تعرفش يا معلم إيه الموضوع وفي أي مصلحة ؟
- وحياتك ما تفرق ، ده كل المصالح منقده علي بعض ، وخنروح بعيد ليه ده امبارح الأولاد وأمهم كانوا مسافرين في القطر وشافهم أخويا وعمل معاهم الواجب ده أصله رئيس قطار أد الدنيا وحتي من غير ما أكلمه ، أمال هو معقول بيبقي رئيس قطار ويسيب ولاد أخوه كده دي حتي مش جدعنة

وهنا تكلم الأستاذ بهجت وقال :

- بس يا معلم ده اسمه استغلال للوظيفة لمصالح شخصية ومش جدعنة
  - يا أستاذ بهجت بلاش الكلام الكبير ده بتاع الجرايد وخلي الأمور تمشي ده المعرفة حلوة برضه ، وهو في حد يعرف يعمل حاجة من غير معرفة ؟
  - أيوه يا معلم بس ده اسمه الذكاء الفردي ، وده يبان لأول وهلة إنه حلو ومفيد ، لكن في الحقيقة ممكن يودي في داهية لأن ممكن واحد يستغل الذكاء الفردي ويخلي القطر يقف في محطة المفروض ما يقفش فيها مثلاً
  - وحياتك انت ممكن يقف في حطة مش محطة أصلاً ه ه ه ه
- وارتفع صوت الضحك من الجميع عدا الأستاذ بهجت الذي قال :

- القصة مش قصة قطار بس يا معلم الموضوع أكبر من كده بكثير ، لأن الذكاء الفردي مرتبط بالغباء الجماعي وممكن يخرج ناس فثلة من الجامعات ما ينفعش يتخرجوا منها ويشغل ناس في أماكن ما ينفعش يشتغلوا فيها ويدخل للبلد منتجات فاسدة أو منتهية الصلاحية ومفيش حد ممكن يفلت من الغباء الجماعي مهما كان فاكر نفسه عايش في دنيا تانية وبيستخدم أحسن حاجات وبياكل ويشرب أحسن أكل لأنه طالما عايش في المجتمع فأكيد هو أو أقرب الناس إليه تحصل له مصيبة ده غير كراهية المجتمع والحقد اللي مالي قلوب الناس الغلابة اللي مش عارفين يعيشوا حياة كريمة أو يخلصوا مصالحهم

- كلامك معقول برضه يا أستاذ لكن حنعمل إيه ما الدنيا كلها كده
- لا يا معلم الدنيا كلها مش كده ، لأن في مجتمعات فيها ذكاء جماعي وكل الناس تقدر تخلص مصالحها فيها بسهولة من غير واسطة ولا رشوة ولا جدعنة ومفيش حد بيلفف حد حولين نفسه ولما حد تحصل له حاجة المجتمع بيثيله فمش محتاج يتعلم كل حاجة زينا لأنه مش محتاج يعمل لنفسه حاجة فبالتالي متفرغ تماماً لشغله وما يعرفش غيره وده ممكن نسميه الغباء الفردي ولو سألته إزاي انت ما بتفهمش في السبابة والكهرباء والكلام ده ممكن يجاوبك بأنه مش محتاج يعرف غير شغله وإنه سعيد بغباءه الفردي وسط مجتمع الذكاء الجماعي

وهنا تكلم الأسطي فرغلي ووجه كلامه للمعلم سيد قائلاً

- بقولك إيه يا معلم أوعي يكون كلام الأستاذ حيليك تنسي مشكلة عم حسين
- لأ إزاي ده كلام ، يعني ينفع عم حسين يفضل مستني لغاية لما كل الناس تخدم بعضها من غير معارف ده ولا في الأحلام يا أسطي

وبعد قليل انتهت الأمسية وعاد كل منهم إلي منزله ، ولكن كان أكثرهم فرحاً هو عم حسين لأنه ظل يحلم بانتهاء مصلحته ويفكر فيما قاله المعلم سيد ، وقبل أن ينام أخذ يفكر في كلام الأستاذ بهجت ويسأل نفسه هل فعلاً لا يوجد في معارفه وأقاربه من يعمل في مكان مهم ويمكن أن يخدمه ، ثم استعرضهم واحداً واحداً فوجد أن معظمهم مجرد عمال عند الآخرين بل قد يسبب لهم إحراج إذا قاموا بخدمته وعرف صاحب العمل ذلك ، ثم تذكر اثنين يعرفهما جيداً توفيق صاحب عربة الفول علي ناصية الميدان الكبير في آخر الشارع والذي يعطيه طلبه قبل الآخرين لأنه صديق عزيز ومعرفة قديمة ثم ابتسم عم حسين في مرارة عندما تذكر الشخص الآخر لأن الشخص الآخر الذي يعرفه جيداً بل يمت له بصلة قرابة هو يونس ابن عمه الحانوتي ، فهل عليه أن يموت أولاً حتي يحصل علي خدمة مميزة

أما الأستاذ بهجت فعندما عاد لمنزله مهموماً أخذ يفكر بعمق وهو يجلس وحيداً ، وقد اعتاد الوحدة منذ أن ماتت زوجته ثم أصبح علي المعاش وسافر ابنه الوحيد شريف إلي الخارج وهو يرسل له من حين إلي آخر بعض الأموال لتعينه علي الحياة ، والأستاذ بهجت رجل مسن يعشق القراءة والإطلاع ومشغول دائماً بهموم عامة تشغله حتي عن همومه الخاصة ودائماً ما يردد قول المتنبي :

ذو العقل يشقي في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

وتكاد هموم المجتمع تؤرق حياته ونومه ، وأحياناً كثيرة تحيره فلا يجد تفسيراً لها ، فهو متأكد أن مشكلة هذا المجتمع هو انخفاض الوعي ، وهو متأكد أيضاً أن الغباء الجماعي هو السبب الأساسي في كل ما يعانیه المجتمع ، ففي مجتمعات الغباء الجماعي الكل يحاول أن يدفع العربة في الاتجاه الذي يوافق مصالحه فقط فمنهم من يدفعها من الخلف ومنهم من يدفعها من الأمام بل إن هناك من يدفع العربة من الأجناب متصوراً أنها ستتحرك في الاتجاه الذي يرغب فيه ، والنتيجة الحتمية أن العربة لن تتحرك أبداً في أي اتجاه ، الكل يدفع دون أن يكلف نفسه حتي مشقة النظر إلي وضع العربة وأين توجد مقدمتها فهو لا يري سوي هدفه هو فقط والعربة بشكل عام ، أما مكانه بالنسبة للآخرين ومكانهم بالنسبة له وبالنسبة للعربة كل هذا لا يكون واضحاً في مجتمع الغباء الجماعي ، في حين أن الجميع يدفع العربة في مجتمع الذكاء الجماعي في اتجاه واحد فقط فهي دائمة الحركة وتمر علي جميع الأهداف والأماكن حسب أولوياتها وترتيبها والكل ينتظر في اطمئنان لتأكده من أن العربة حتماً ستمر بالمكان الذي يرغب فيه ، هذا هو الفرق ، الإحساس بالأمان والاستقرار نتيجة للذكاء الجماعي ، والإحساس الدائم بعدم الثقة في الغد في مجتمع الغباء الجماعي فالجميع يتصور أنه علي حق وأنه الوحيد الذي يعمل عملاً محترماً مفيداً أما الآخرين فلا يهتم بما يفعلون بل

إنه يحتقر أحياناً ما يفعله الآخرون ، في مجتمع الذكاء الجماعي كل عمل محترم مهما صغر فالكل يشعر بعمل الكل والكل يستفيد من أعمال الآخرين لأن الجميع يدفعون العربة في الاتجاه الصحيح ، ولا يهم نوع العمل طالماً أنه يخدم الجميع دون تفرقة أو محسوبية أو وساطة ، وكان الأستاذ بهجت يفخر دائماً أمام أصدقاءه أنه لا يستخدم الذكاء الفردي أبداً ليقضي مصالحه ، فهو يتعامل مع الموظفين بمنتهي الحلم والصبر ومستعد لأن يدوخ السبع دوخات كما يقولون كي يستكمل أي أوراق مطلوبة في أي مصلحة وينتظر طويلاً ، ويقف في طوابير طويلة مع الغلبة معدومي الذكاء الفردي ومعدومي العلاقات ، وكان أصدقاءه يؤكدون له أنه طول عمره لم يضطر اضطراراً لاستخدام الذكاء الفردي مما كان يجعله دائم التحدي لهم ، ومع ذلك فقد كان لا ينكر علي أحد استخدامه للذكاء الفردي بل كان أحياناً ينصحهم باستخدامه لإنهاء مصالحهم ،

إن الأستاذ بهجت عندما يذكر بحسرة كلمة شياشكو التي سمعها مرة واحدة في أحد الندوات التي كانت تنظمها إحدى المكتبات العامة التي كان يعمل بها ولم يتمكن من نسيانها أبداً فقد شرح أحد المحاضرين في الندوة كيفية العمل في هذا المبني الياباني الأنيق الذي يقدم كافة الخدمات للجميع بنفس الجودة وبمنتهي السهولة واليسر دون أن يحتاج منهم أي بيانات أو أوراق ، وكيف يطلب منك بيان بينما هو نفسه قاعدة بيانات ضخمة فهو يعرف عنك ربما أكثر مما تعرفه أنت عن نفسك ، فهل ممكن مثلاً أن يطلب منك ما يفيد عن مكان إقامتك أو حالتك الإجتماعية أو محل وتاريخ ميلادك أو كل المعلومات التي تخصك ، إن ضغطة واحدة علي الرقم الخاص بك تغني عن كل هذا فكل شئ يتم تحديثه بصفة دائمة حتي إذا تغير محل إقامتك فسوف يصلهم فكل الخيوط تلتقي في شياشكو ، وكل البيانات يتم تحديثها آلياً لأن كل إجراء تقوم به زواج طلاق ميلاد وفاة سكن جديد عمل جديد كل هذا مرتبط بشبكة معلومات ضخمة لا يوجد جزء منها منفصل عن الآخر إنه الذكاء الجماعي بكل ما تحمله هذه الكلمة من معاني ، وللاستاذ بهجت دفتر يعتز به ويحرص عليه ، فهو حصيلة المعارف التي جمعها طوال حياته العملية في المكتبات التي عمل بها ، فكان كلما قرأ كتاباً وأعجبته فقرة منه سجلها بخط صغير وأنيق وكتب بجوارها مصدرها ( اسم الكتاب واسم المؤلف ودار النشر ورقم الصفحة وسنة الطبع أيضاً ) لقد كانت هذه هوائيه الوحيدة تقريباً ، ولقد كان يشعر أن هذه الكتب متوفرة له بحكم عمله كأمين مكتبة وأنه لن يتمكن من الحصول عليها مرة أخرى فكان يجمع منها كل ما تيسر له من فقرات ممتعة ، ومعلومات قيمة وأشعار رائعة ، وأحداث تاريخية وأقوال مأثورة وحكم ، فكانت هذه الأوراق هي كنزه الثمين ، الذي لا يستطيع تعويضه مهما فعل ، وعندما خرج للمعاش قام بتجميع كل هذه الأوراق التي كانت تقريباً من نفس

الحجم ، وقام بتجليدها ، وأصبحت دفتر ، أطلق عليه زهرة من كل بستان ، وكان يأخذه معه للمقهي ليقراً منه علي أصدقاءه كل ما هو مفيد وشيق ، والطريف أن هذا الدفتر يحتوي أيضاً علي بعض الخواطر والأفكار الخاصة به شخصياً ، وليست منقولة من كتب معينة

وظل الأستاذ بهجت يفكر ويتذكر إلي أن غلبه النعاس واستسلم للنوم

وفي صباح اليوم التالي استيقظ عم حسين مبكراً وهو في قمة السعادة والتفاؤل وذهب ليتناول فطوره عند توفيق صاحب ومدير عربة الفول أو هكذا يصف نفسه ، وظل يمشي عم حسين في اتجاه ناصية الشارع ويقرب من عربة الفول ، ثم ابتسم وهو يمضي نفسه بإفطار شهي عند صديقه المقرب توفيق ، بل إن معرفته به كافية لكي يترك جميع زبائنه ويتفرغ لإعداد ما يحتاجه ، فهو اليوم يحتاج أن يتناول إفطاره بسرعة ليذهب إلي المعلم سيد ، وأخيراً وصل إلي العربة وقرأ المكتوب عليها : ماخطرثش علي بالك يوم تظفر عندي ، وإن خلص الفول أنا مش مسئول ، فابتسم وألقي تحية الصباح علي توفيق الذي كان مشغول جداً لازدحام المكان بالزبائن ، ولكن فجأة وبدون مقدمات ترك توفيق عم حسين وباقي الزبائن وذهب مسرعاً وسط دهشة الجميع ، فالتفت عم حسين وباقي الزبائن في اتجاه توفيق وهو يجري في اتجاه سيارة فاخرة وقفت بالقرب من عربة الفول ويبدو أن ركبها من الطبقة الراقية وقد دفعهم الفضول لشراء ساندوتشات فول وطعمية من أحد عربات الفول ،

وطبعاً توفيق يعرف جيداً أن هذا النوع من الزبائن لا يهتم بالفكة وأن أقل عملة نقدية معهم قد تعادل كل ما يحمله زبائنه ، وبالتالي قرر أن يترك كل ما في يده ويتفرغ تماماً لخدمتهم

ونترك عم حسين وهو في غاية الإحباط ونذهب لنتابع حشمت بك وهو يتناول أيضاً إفطاره ولكن علي حمام السباحة في قصره بأحد أرقى أحياء القاهرة

وكان يجلس بالقرب منه سكرتيره الخاص وساعده الأيمن الأستاذ رأفت الذي يثق فيه جداً فهو المتحدث باسمه في جميع شركاته ومصانعه بل وفي المزرعة الخاصة به وهو أكثر من يعملون معه قريباً منه فهو كاتم أسراره أيضاً والطريف أن الأستاذ رأفت يفهم حشمت بك بسهولة بل بمجرد النظرات يدرك ماذا يريد وينفذه علي النحو الذي يرضيه تماماً ،

أما حشمت بك نفسه فهو رجل راجح العقل واسع الخبرة متعدد العلاقات فهو يعتبر أن العلاقات في كثير من الأحيان تكون أفضل من الأموال ولذلك فبرغم كثرة معاونيه ومساعديه إلا أنه علي علاقة ومعرفة شخصية بالعديد من الموظفين في العديد من المصالح فهو يدرك مدي ما يمكن أن يسببوه من متاعب بسبب الأوراق وما أدراك ما الأوراق ،

وحشمت بك معروف أنه رجل خير وله العديد من التبرعات في العديد من المجالات ، فضلاً عن خدماته التي يقدمها لمعارفه بحكم علاقاته ، فهو رجل ذو سمعة طيبة ، ويتسم بالجدعنة

بالمعني المرادف للذكاء الفردي بل إنه يعتبر نموذج مثالي لتعريف الذكاء الفردي ، وفوق كل هذا فهو رجل متواضع وله روح مرحة وغير متكبر أو مغرور علي عكس ابنه الوحيد المهندس سامر بك الذي يسبب له العديد من المشاكل بسبب تصرفاته الغير محسوبة ، كان هناك جو من التوتر يسود اللقاء الذي جمع حشمت بك بالأستاذ رأفت ، وكان الأستاذ رأفت يقدر غضب حشمت بك بسبب ما حدث في الميناء بالأمس فتأخير الإفراج الجمركي عن البضاعة سيسبب خسائر هم في غني عنها ، وكان حشمت بك يريد معرفة من المتسبب في هذا التأخير ، وكان الأستاذ رأفت يحاول أن يخفف من حدة الموقف ولكنه في النهاية اضطر أن يوضح لحشمت بك ما حدث بقوله :

- في الحقيقة أنا لما بحثت في الموضوع لقيت الموظفة الجديدة اللي حضرتك عينتها الأسبوع اللي فات هي السبب في ما حدث نتيجة قلة خبرتها

- قصدك مين ؟

- الأنسة نهي بنت خورشيد بك وطبعاً حضرتك عارف إن أبوها مهم بالنسبة لنا  
- وده اسمه كلام يا رأفت يعني تخرب بيتنا علشان أبوها خورشيد بك ، وبعدين إزاي تشغلوها في المكان ده ، ما انت عارف إننا قبلناها مجاملة يعني تقعد في مكتب شيك مالوش أي لازمة تلعب علي الكمبيوتر وتدخل علي النت وتتكلم في التليفون وتسلي نفسها بعيد عن شغلنا وتقبض وخلص

- أنا عارف طبعاً الكلام ده كويس بس أنا زي ما حضرتك عارف كنت مسافر طول الأسبوع اللي فات وما حضرتش الموضوع من أوله ، لكن ملحوقه كل حاجة تتظبط وتبقي زي الفل ، لكن معلش يا حشمت بك أنا عندي سؤال تاعبني شوية بخصوص الأنسة دي ، هو ليه خورشيد بك ما شغلهاش في شركة من شركاته ؟

- خورشيد بك عرض عليها يا رأفت وهي رفضت ، قال إيه عايزة تعتمد علي نفسها يا سيدي

- بس دول كتروا أوي عندنا يا حشمت بك

- نعمل إيه بس ، ومع ذلك احنا بنستفيد برضه ، المهم نحطهم تحت عينينا دايماً فاهم يا رأفت ؟ أحسن يفتكروا نفسهم شغالين بجد ويودونا في داهية

- ما تقلقش أنا صاحي لهم كويس ، بس هو الموضوع اللي فات ده فلت مني غضب عني ، تحب نجهز العربية ولا لسه شوية ؟

- ماشي ماشي أنا أصلاً نفسي مسدودة ومش حكمل الفطار ، ونبقي ناخذ القهوة في المكتب ، خلي الأسطي فرغلي يجيب العربية

وفي الطريق أخذ الأستاذ رأفت يشرح لحشمت بك ما قام به خلال سفره للخارج والعقود التي اتفق عليها والأرباح الطائلة المنتظر تحقيقها إذا تمت هذه الصفقات علي خير ، وبينما هم علي ذلك ، إذا بالعربة ترتج فجأة نتيجة فرامل مفاجأة من الأسطي فرغلي مما أثار غضب حشمت بك فهو يثق في قيادة الأسطي فرغلي ويعرف أنه سائق ماهر وذو خبرة طويلة ، ولولا أن حشمت بك رجل مهذب لخاطب الأسطي فرغلي بأسلوب لا يليق ، أما الأسطي فرغلي فتكلم بسرعة قائلاً :

- سواق ماشي مخالف يا سعادة البيك طلّع فجأة ويادوب قدرت أفلت منه بالعافية ، أنا  
آسف يا بك

فقال الأستاذ رأفت :

- سواق حمار صحيح

فقال حشمت بك :

- ما تظلمش الحمير يا رأفت ، انت عمرك شفت حمارين خبطوا في بعض ؟

- لكن ده خالف قانون المرور

- القانون اللي محتاج يخالفه

- مش فاهم

- يعني معظمنا بيخالف القانون ، لكن كل واحد بيختار القانون اللي يخالفه طبقاً لمصالحه ، وده سواق تاكسي زي ما انت شايف يعني قوانين المرور ممكن تقرفه في شغله من وجهة نظره لو كان عايز يلم فلوس كتير عن الطبيعي

- بس يا حشمت بك كله إلا قوانين المرور دي ممكن تتسبب في الوفاة

- ومخالفة قوانين البناء مش ممكن تتسبب في الوفاة ، ومخالفة قوانين الاستيراد والمنتجات المنتهية الصلاحية مش ممكن تتسبب في الوفاة وغيرها وغيرها كثير ، مخالفة القانون كارثة في جميع الأحوال

- لكن في قانون مش ممكن حد يخالفه أبداً

- قانون إيه ؟

- قانون الجاذبية الأرضية ه ه ه

وابتسم حشمت بك قائلاً :

- إذا كنت بتختار قانون لا يناسبك لتخالفه فليس من حقك أن تختار لي القانون الذي أخالفه

واستمر الحوار علي هذا النحو وتحول إلي مناقشة هادئة غلب عليها روح الدعابة مما جعل الأسطي فرغلي يتنفس الصعداء ، لأن الموقف مر بسلام ولكن هذا لم يخفف من توتره مما حدث فقرر أن يروي ما حدث في المساء لأصدقائه علي المقهي لعلهم يخففون عنه ما حدث ومر اليوم بالأسطي فرغلي وهو في منتهي الضيق لأن مثل هذه الأخطاء نادراً ما تحدث منه ولكنه قد يكون معذور ولكن أبسط قواعد القيادة هو أن تحترس من أخطاء الآخرين إنه لا يستطيع الانتظار حتي يأتي المساء ليقابل أصدقائه المقربين الأستاذ بهجت وعم حسين والمعلم سيد كي يروي لهم ما حدث

وأخيراً جاء ميعاد الأمسية الليلية وذهب قبل الجميع عدا المعلم سيد بالطبع ، وبعد أن استقر المجلس واطمئن الجميع علي عم حسين ومشكلته التي قد تم حل جزء كبير منها ولم يعد هناك ما يقلقه أي أن الموضوع يحتاج إلي مجرد وقت فقط ، بدأ الأسطي فرغلي يروي قصته مع حشمت بك في السيارة وما تم صباحاً وأنهى قصته بقوله :

- شفتوا إزي يا جماعة سواق زي ده ممكن يبوظ لي سمعتي وتاريخي كله

فتكلم المعلم سيد :

- يا راجل ما تكبرش الموضوع ، هو لسه حشمت بك حيحك علي سواقتك دلوقتي بعد

السنين دي كلها ، وبعدين كويس إنه كان تاكسي مش ميكروباص كان بهدل الدنيا

فتحدث عم حسين قائلاً :

- عندك حق يا معلم ده في سواقين ميكروباص بيعملوا حاجات عجيبة ، وأنا عن

نفسي بحط إيدي علي قلبي وميت من الخوف وأنا راكب معاهم ، وما بحبش أقعد

جنب السواق أبدا من الغرز اللي بيعملها بسرعة عالية جداً ، ولا إيه رأيك يا أستاذ

بهجت

فتنهذ الأستاذ بهجت طويلاً كعادته ورشف من فنجان القهوة واستعد لإلقاء محاضرة عن

سائقي الميكروباص قائلاً :

- في الحقيقة بعض سائقي الميكروباص بيعتقدوا إن السرعة بس هي مقياس المهارة

مع إن المفروض راحة الركاب مهمة برضه ، لكن لما الواحد يركب مع واحد منهم

يلاقي نفسه بيتخبط في الكرسي اللي قدامه مرة وفي السقف مرة وفي باقي الركاب ،

يعني الواحد بيحس إنه راكب مرجيحة وفعلاً في ناس بتكون مرعوبة من رعونة

السواقة وتحس إنه مش بينقل بني آدمين لكن بينقل بطاطس مثلاً ،

فتكلم المعلم سيد :

- أنا حصل معايا مرة من كام يوم موقف يضحك ، لأنني اضطررت أركب ميكروباص وأنا طبعاً عارف إنهم بيجروا جامد عمال علي بطل وبيعملوا أكروبات في الشارع ، والغريب إن مفيش حد من الركاب يقدر يتكلم ويقول حاجة للسواق ، ده حتي لما تحصل لخبطة مع عربية تانية جنبه تلاقي الركاب يقفوا في صف السواق ، وكل كلمة يقولها صح مية في المية مش عارف ليه ، المهم إن المرة دي كان السواق ماشي كويس جداً ، وبيأخذ المطبات بجنية ولما السكة تكون فاضية يجري بعقل ، ويلف الملفات بالراحة وعقل ، وأنا طبعاً استغربت جداً لأن مش ده اللي أعرفه عن الميكروباصات خالص ، وفي الآخر عرفت ليه بيعمل كده

فرد الأسطي فرغلي وقال :

- شوقتنا يا معلم عايزين نعرف

- أتاريه ببشرب شاي وخايف علي الكوباية تندلق ه ه ه

فضحك الجميع وعلق عم حسين قائلاً :

- يعني الواحد بعد كده لازم يعزم السواق علي شاي قبل ما يركب علشان يضمن السواقة بعقل ه ه ه

- لأ والمشكلة يا عم حسين الأغاني لا مؤاخذة اللي الواحد بيسمعها غصب عنه تحس إنه خبط وخلص وبصوت عالي جداً وكلام فارغ وقليل جداً اللي يسمعك الست أم كلثوم أو عبد الحليم أو عبد الوهاب وباقي الناس الحلوة دي

فتكلم الأستاذ بهجت قائلاً :

- الموضوع ده محيرني جداً لأن أنا كنت أعرف ناس ذوقها حلو وبتتكلم كويس ، وأول ما الظروف خليتهم يسوقوا ميكروباصات لقيتهم بيسمعوا الكلام اللي انت بتقوله ده ، فمش عارف هل الذوق مرتبط بالمهنة ؟ والمشكلة إن السواقة دلوقتي بقت مهنة من لا مهنة له ، لكن حنقول إيه حتفضل مشاكلنا كلها سببها قلة الوعي

فتكلم المعلم سيد سائلاً الأستاذ بهجت :

- يعني يا أستاذ مفيش حل في كل المشاكل اللي احنا فيها دي إلا بزيادة الوعي ؟ طب يزيد إزاي ؟

- أنا شايف إن الفن عليه عامل كبير في الموضوع ده

- فن إيه يا أستاذ ، الموضوع تربية وتعليم

- لو عايز نتائج سريعة يبقي السينيما والمسرح والدراما ممكن يعملوا كده ، لكن التربية والتعليم بتحتاج وقت وأجيال وممكن برضه الفن يبوظ اللي هما بيعملوه لأن لهم تأثير كبير علي الناس وخصوصاً الشباب

- إزاي ؟

ورشف الأستاذ بهجت رشفة من فجان القهوة وأخذ وضع الاستعداد للشرح ، وهو وضع يعرفونه جيداً ، فهم ينصتون باهتمام ويستعدون لمحاولة فهم ما يقول ، لأن كلماته أحياناً تكون غير مفهومة ، فهو عندما يلقي محاضرة يغلب عليه التحدث باللغة العربية وبدأ الأستاذ بهجت في الحديث :

أنا أقصد بالفن هنا جميع الأعمال الفنية من مسرحيات وأفلام سينيمائية ودراما ومسلسلات تليفزيونية وربما يمكن إضافة الأغاني والإعلانات أيضاً ، ولا يمكن أن ننكر أن التليفزيون يقوم بنقل كل هذه الأعمال الفنية بعد عرضها سواء في المسارح أو دور السينيما ، أي أن التليفزيون في النهاية هو المصدر الذي يمكن من خلاله مشاهدة كل هذه الأعمال ، ولا ننكر أيضاً دور الفن في التأثير علي المجتمع ، فيكفي أن نعرف أن مسرحية واحدة أفسدت الكثير من الطلبة في المدارس ، بعد عرضها بكثرة حيث زادت نسبة سوء الأدب مع المعلمين بشكل ملحوظ عن النسبة العادية التي كانت موجودة قبل عرض هذه المسرحية ، كما أن مسرحية أخرى أفسدت أيضاً الكثير من الأبناء في بيوتهم مع آباؤهم وأمهاتهم ، فلم يكن الابن يجرؤ علي أن يتكلم مع والده أو والدته بتهكم أو سخرية إلا بعد عرض هذه المسرحية كما لو كانت مقررة علي الأبناء ، ولا أدعي أن مستوي الأخلاق قبل المسرحية كان مثالياً ولكن هذا العمل المسرحي أدي إلي نتائج لا يمكن أن ينكرها أحد ، ويمكن القياس أيضاً علي ذلك ببعض الأفلام السينيمائية التي يكون فيها بطل الفيلم لا يتكلم بشكل طبيعي وفي حالة غيبوبة دائمة مثيرة للضحك ويرتدي ملابس لا تليق ، وكل هذا يؤثر علي مرحلة عمرية معينة ، وحدث ولا حرج عن العري والكلمات البذيئة والإيحاءات الجنسية ، والأفكار التي يتم بثها من خلال الدراما التليفزيونية ، هل كل هذا الزخم الفني غير قادر علي تنمية روح الذكاء الجماعي بنفس الدرجة التي نشر فيها سلبيات عديدة لا يزال يعاني منها المجتمع ؟ ، أنا علي يقين أن الفن والإعلام والقنوات الفضائية ببرامجها الجذابة كل هذا يمكنه أن ينشر ثقافة الذكاء الجماعي في المجتمع ، أما إذا سألت أحد القائمين بهذه الأعمال الفنية عن سر هذه النماذج السيئة التي ي طرحها في أعماله ، فسيجيب علي الفور بأن هذه ظاهرة موجودة في المجتمع ولا بد من رصدها ، ويأتي السؤال هل الفن مسئول عن رصد كل ما هو سلبي فقط في المجتمع ونشره

لكي يزيد وينمو ويتضخم ؟ أم أن عليه أن يبحث عن كل ما هو جميل في المجتمع ؟ ما هي الرسالة المطلوب أن يقوم بها الفن ، هل الإيجابيات لا تحقق الربح ؟  
كان كلام الأستاذ بهجت غامضاً ومبهماً بعض الشيء بالنسبة للمعلم سيد ومن معه فلم يتمكن أحدهم من مجارته في الحديث ولكن استطاع كل منهم أن يفهم الموضوع بشكل عام مما وعيه من كلام الأستاذ والطريف أنه لم يتكلم أحد حتي انتهاء الأمسية وحتى مغادرتهم جميعاً المقهي وعودتهم إلي منازلهم

في صباح اليوم التالي توجهت الأنسة نهي إلي الشركة لتجد مفاجأة في انتظارها ، حيث تم نقل مكتبها إلي قسم العلاقات العامة ، وعندما استفسرت عن هذا التغيير قيل لها أن هذه تعليمات الأستاذ رأفت شخصياً ، ففهمت مغزي ذلك وربطته بما حدث من أخطاء ،

ونهي فتاة علي قدر كبير من الذكاء والجمال أيضاً ، وهي تعرف جيداً أنها لم تكن المسئولة عن الأخطاء التي حدثت ولكن رئيس القسم طلب منها أن تتحمل الموضوع برمته حرصاً علي مستقبله الوظيفي هو ومن معه في القسم ، لأن هذا الخطأ الذي حدث قد يسبب لهم مشاكل لا حصر لها ، وأقنعها أن تضحي من أجله ومن أجل زملاءها ، فهي في جميع الأحوال لن يصيبها مكروه بحكم مركزها الاجتماعي ، وصدافة أبيها لحشمت بك وارتباط مصالحهما كرجال أعمال ، فقررت تحت هذا الضغط أن تتحمل وحدها هذا الخطأ

ولكنها وهي في مكانها الجديد ظلت تفكر بهدوء في الموضوع برمته ، فالمسألة مسألة مبدأ ، فإذا كان ما حدث جريمة مثلاً وتم اعتراف أحدهم تحت ضغط ما بارتكابها وتم غلق الملف وغيره من الملفات بهذا الأسلوب ، فهل هذا سيصب في الصالح العام ، لقد كانت تحدث نفسها ، أن الفاعل الحقيقي لا زال حراً وقد يكرر الأخطاء أيضاً ، طالماً أن هناك من سيعترف بدلاً منه بارتكابها ، وفكرت جيداً أن ترفع الموضوع لحشمت بك وتنفي عن نفسها ما حدث ولكنها ترددت في ذلك وقررت أن تثبت نفسها في عملها فهي تثق في نفسها منذ أن تخرجت في الجامعة الأمريكية وطالما انتظرت الفرصة المناسبة لتحقيق ذاتها ، ولكنها تدرك جيداً أيضاً أنها تعيش في مجتمع مختلف تماماً عما درسته وعن البلاد التي زارتها مع والدها ، ويحتاج إلي مجهود ضخم وبقظة دائمة كي تستطيع التعامل مع النفوس المريضة وما أكثرها في المجتمع ، ثم قررت أن تذهب إلي مديرتها المباشر في العلاقات العامة وتطلب منه أن يكلفها ببعض الأعمال ، وذهبت بالفعل وكان جوابه :

- آنسة نهي صدقيني أنا عندي الشغل أقل بكثير من باقي الأماكن في الشركة وكمان

- عندي موظفين - - -

- أكثر من اللازم صح ؟

- لا ما أقصدش بس انت عارفه المجاملات كلها بتيجي عندي - - - أقصد يعني -
- أنا فاهمة ، فاهمة
- أنا شايف انك ذكية جداً وعندك طموح وبتاعة شغل وعلشان كده أنا صارحتك بالحقيقة
- أنا متشكرة جداً علي صراحة حضرتك ، وعلشان كده عايزة أكد لحضرتك إن الخطأ اللي قالوا إني عملته لم يكن مني إطلاقاً ولكن أقنعوني إني ممكن أنقذهم من العقوبة علي أساس إن أنا مش حيحصل معايا حاجة ، بس ياريت الكلام ده محدش يعرفه
- مفهوم ، مفهوم
- علي العموم يا أستاذ رامي أنا منتظرة من حضرتك تكلفني بشغل أثبت نفسي فيه
- كان الأستاذ رامي يستمع بإشفاق إلي نهي وهي متأثرة جداً ، وشعر بصدق كلامها واحترمها جداً ، فقد كان الأستاذ رامي رجل محترم جداً ومهذب ولبق ، وكان من الممكن أن يجيبها بدبلوماسية وينهي اللقاء ولكنه لم يستطع أن يذعها وقرر أن يستكمل الحوار الصريح حتي النهاية قائلاً :
- أنا آسف جداً يا آنسة نهي لكن صدقيني أنا عندي تعليمات من الأستاذ رأفت شخصياً بعدم تكليفك بأي شغل ، وكمان إنك تكوني علي راحتك في إنك تيجي الشغل أو ما تجيش
- أنا كده ممكن اضطر أقدم استقالتي من الشركة كلها
- مفيش داعي ، وأنا أوعدك إني حشوف حل للمشكلة دي ، وأكد حيتيجي الفرصة المناسبة ما تقلقيش
- وانتهي اللقاء الذي كان في منتهي الشفافية والوضوح من الطرفين وعادت إلي مكتبها الجديد الأنيق ولكنها لم تكف عن التفكير في الموضوع ،
- لقد كانت هذه الفتاة طراز نادر جداً من الفتيات فهي رغم أناقتها لا تهتم بكل ما يهتم به الشباب من أقرانها في المجتمعات الراقية بل إنها كانت تعتبر اهتماماتهم كلها تافهة ، فقد كانت تهتم بالقضايا العامة كثيراً وتشفق علي الفقراء وتهتم بأحوالهم بينما كان شعار بعض صديقاتها ادفنوا الفقراء حتي لا نراهم ، لقد كان منظر البسطاء يؤدي عيون صديقاتها بينما يحرك بداخلها مشاعر مؤلمة فهي مرهفة الحس رقيقة المشاعر ، فكم كانت تبكي وحدها كلما شاهدت فقراء بلادها يعانون ويشتاقون إلي حياة آدمية كريمة ،
- وكانت نهي علي عكس صديقاتها تعشق القراءة كما تعشق السفر وكما يقول الشاعر
- أعز مكان في الدنا سرج سابح ، وخير جليس في الزمان كتاب

ويمكن إذا قارناها بالأستاذ بهجت أن نجد تشابهاً كبيراً بينهما ، إلا أنها تفضل قراءة الكتب الإلكترونية علي شبكة المعلومات الانترنت أو ما تحفظه منها علي الحاسب الخاص بها فهو يذخر بالعديد من الكتب التي لا يستطيع الأستاذ بهجت أن يصل إليها فهو يقرأ الكتب الورقية المطبوعة فقط ، وكذلك فإن سفرها للخارج كثيراً بالطبع يعتبر نقطة اختلاف كبيرة بينها وبين الأستاذ بهجت ، بل إن لها معارف وأصدقاء غير مصريين ، وعلاقات متعددة ،

ولكن بشكل عام يتفق كل منهما في بعض الطباع والاهتمامات مع اختلاف مشاربهما ومصادر ثقافتهما ، والبيئة التي يعيش كل منهما فيها ، ويمكن أن نقول أن كل منهما تقريباً قد وصل إلي نفس النتائج عند تأمله لأحوال المجتمع ، إنه الغباء الجماعي وانخفاض الوعي ، وكلاهما مقتنع تماماً بعظمة هذا الشعب وطيبته وبساطته فهو يحتاج فقط إلي فرصة ليفهم مشاكله الحقيقية ويشخص أمراضه ليعالجها فالتشخيص السليم بداية العلاج بل إن الاعتراف بالمرض في الحقيقة هو البداية الحقيقية للعلاج

وكم تناقشت نهي مع إحدى صديقاتها الأجنيات في الكثير من الأمور التي تخص المجتمع فقد كانت صديقتها تحب مصر كثيراً ومهتمة بالحضارة الفرعونية بل شغوفة بها ، وكانت دائماً ما تقابل نهي وتسالها الكثير من الأسئلة عن هذا المجتمع الذي يصيبها بحيرة شديدة ، وكانت نهي تجيبها دائماً إجابات مفيدة ، ومن بين الأمور التي كانت تثير دهشة صديقتها ، أمر محير جداً بالنسبة لها إذ أنها تري فقراء المصريين يضحكون كثيراً فكيف يكون ذلك فالمنطق والعرف عندها في بلادها أن الفقير لا يضحك كثيراً أو قد لا يضحك علي الإطلاق فما الداعي لسعادته ،

إن معظم الأجانب كي يشعروا بالسعادة والسرور لا بد أن ينفقوا الكثير من الأموال ويرتادوا الأماكن المفرحة ويأكلون ويشربون ما لذ وطاب ويشاهدون ما يجلب السعادة من وجهة نظرهم ، وكل هذا يحتاج إلي نفقات باهظة ، يعملون بجد واجتهاد للحصول عليها ، ثم يستمتعون بكل وسائل المتعة الغير متوفرة للفقراء ،

وكانت نهي تحاول أن توضح لصديقتها أن طبيعة المصري المرححة تجعله يسخر حتي من مشاكله وفقره ، إنه يستطيع دون أن ينفق أي شئ أن يصل إلي مستوي من الانبساط والضحك لا يصل إليه الأجنبي بسهولة بسبب بساطته ونقاء سريرته وسمو روحه ، فهو يتسم بصفات غاية في الروعة ، فأقل شئ يضحكه ويسعده ،

وكانت نهي تقرأ لصديقتها من التابلت الخاص بها ما كتبه المؤرخ البريطاني ستانلي لين بول الذي زار القاهرة بعد الاحتلال البريطاني لمصر ، وتعجب مما تعجبت منه فكتب في كتابه الممتع سيرة القاهرة يصف احتفال المصريين بمولد الحسين يقول : والشئ الغريب حقاً أنه في

إحدي ليالي الشتاء وبعد موقعة التل الكبير ، حينما كنت واقفاً -لأن الركوب كان إذ ذاك متعذراً- وسط جمع محتشد غفير في شارع الموسكي ، وجاهدت لأشق طريقي إلي ذلك الزقاق الذي يؤدي إلي بيت القاضي ومسجد الحسين ، أقول إنه من الغريب حقاً أنني لم ألاحظ هناك أية روح سيئة أو تعصب ، علي الرغم من وجود كثير من الأوروبيين الذين كانوا يجتالون في الطرقات البهيجة المزدانة بالأنوار في ليلة عيد ، ولكنك بدلاً من هذا كنت تجد النساء الإنجليزيات يتخللن الأسواق ، والضباط الإنجليز والسائحين يختلطون بالجمهور ، بل إنهم بلغوا في بعض الأحيان أبواب الجامع المقدس نفسه دون أن يمسه أحد أو يبدي لهم أدنى مضايقة بل أقل ملاحظة ، وفي بعض الأحيان قد تشاهد سيدة مصرية وهي تدعو بعض الأجانب وتطلب منه أن يصلي علي النبي وقد تذهل السيدة المصرية حينما يجيبها بقوله اللهم صل عليه ، علي أنه إذا لم يعرف ذلك الأجنبي كيف يجيب عن مثل هذه الأسئلة إجابة صحيحة ، فلن ينتج عن ذلك ضرر علي الإطلاق ، فإن طيبة القلب والطبيعة السمحة التي توحى بها مثل تلك الأعياد مما ينسي ذكري الحرب ، ومن المؤكد أنه لا يمكن أن يكون هناك جمهور إنجليزي يعتمد عليه ويوثق به يستطيع أن يسلك مثل هذا المسلك البديع مع وجود أقلية غير مرغوب فيها معه

ولعل أول ما يتميز به الجمهور المصري أنه يمكن تسليته في سهولة تامة ، فإن أبسط المناظر وأقدم النكات تبعث فيه المرح والسرور ، ويكفي أن تجعل الأوروبي المدقق يأسف علي ضبطه نفسه ليري كيف أن هؤلاء البسطاء يدخل المرح قلوبهم من أقل شئ هكذا كانت نهى تحب القراءة والإطلاع وخاصة فيما يتعلق بشعب مصر وتاريخه وكانت تهتم بما كتبه الرحالة الأجانب أكثر من اهتمامها بما كتبه المصريون أنفسهم علي عكس الأستاذ بهجت الذي كان يهتم بقراءة كتب التاريخ المصري ، وربما يكون الكتاب الوحيد تقريباً الذي اهتم به كل منهما هو كتاب وصف مصر الذي قام بتأليفه نخبة من علماء الحملة الفرنسية وتم ترجمته للغة العربية ،

نترك الآنسة نهى في أفكارها وتأملاتها في مكتبها الأنيق ونذهب إلي مكتب حشمت بك الذي كان يجري مكالمة تليفونية في حضور الأستاذ رأفت بالطبع ، وكان واضح علي حشمت بك مظاهر الغضب وعدم الرضا وهو يتحدث ، فقد كانت المكالمة مع ابنه الوحيد المهندس سامر الذي كان قد تسبب في عدة مشاكل بالمصنع عندما توجه إليه في هذا الصباح وأنهى حشمت بك المكالمة بعصبية قائلاً : خلاص أنا جايلك علي طول دلوقت

قالها وهو يضغط علي الذر ثم قال خلي الأسطي فرغلي يجهاز العربية بسرعة

وفي الطريق إلي المصنع الموجود خارج القاهرة دار حديث حزين بين حشمت بك والأستاذ رأفت :

- انت عارف يا رأفت أنا لو حصل لي حاجة الولد ده حيصع كل اللي أنا عملته
  - بعد الشر عليك يا حشمت بك
  - لأ صحيح ، انت ما تتخيلش أنا عملت إيه علشان أعمل منه مهندس وصرفت أد إيه عليه ومفيش فايدة
  - هو محتاج بس شوية خبرة
  - خبرة إيه بس ده بيحكم علي الأمور بطريقة في منتهي السوء ،
  - حضرتك يافندم ما بخلتش عليه بحاجة سواء بفلوسك أو بعلاقاتك
  - هي دي المشكلة يا رأفت صدقني ، وأنا اللي غطان لأنني كان لازم أسببه يفرق شوية علشان ينشف ويعتمد علي نفسه ، مش كل حاجة في حياته أعملها أنا ، شوية حرمان يعملوا حاجات كثير ، لأن الحرمان مفيد برضه
- كان الأسطي فرغلي يستمع إلي الحوار وهو في قمة التركيز في الطريق ليحقق المعادلة الصعبة السرعة مع راحة الركاب في نفس الوقت ، ولكنه قد لفت نظره الجملة الأخيرة التي قالها حشمت بك ، الحرمان مفيد ، ولم يتمكن من إدراك هذا المعني ، كيف يكون الحرمان مفيد ولدينا الكثير من المحرومين ولم يستفيدوا شيئاً من وجهة نظره ، وقرر بالطبع أن يسأل الأستاذ بهجت في المساء عن هذا المعني
- ومر اليوم علي خير واستطاع حشمت بك احتواء ما سببه ابنه في المصنع ، لقد اعتاد علي ذلك مع ابنه المتهور الذي يفسد كل شئ يتدخل فيه ، لقد كان حشمت بك من رجال الأعمال الذين يتعدد نشاطهم في عدة مجالات سواء في التجارة أو الصناعة وحتى الزراعة وكان يتصور أن ابنه سيهتم بأحد هذه المجالات ويجد نفسه فيه ولكن خاب ظنه
- وفي المساء عندما جلس الأستاذ بهجت كعادته يحتسي فنجان القهوة مع أصدقاءه علي المقهي ، فتح الأسطي فرغلي موضوع الحرمان ، فوجد اهتمام كبير من الجميع ودارت مناقشة حول الموضوع وكان بالطبع للأستاذ بهجت النصيب الأكبر فيها حيث قال :
- يا جماعة الحرمان ده مهم جداً في حالات كثير لأنه ينفجر الطاقات الكامنة جوه

الإنسان

فسأله الأسطي فرغلي :

- إزاي يعني ؟

- يعني انت لما تربى ابنك مثلاً علي إنك تعمله كل حاجة في حياته ممكن يتعود علي كده ويفرق من غيرك ، فلازم تعودة انه يعتمد علي نفسه
- بس ده ابني إزاي اسيبه يفرق ؟
- انت مش حتفضل جنبه طول العمر ولازم حتسيبه في يوم من الأيام ، انت عارف الملوك زمان كانوا بيعملوا إيه مع أولادهم الأمراء
- إيه ؟
- كانوا بيخلوهم يطلعوا رحلات صيد في الصحراء أو في الأدغال يشوفوا قسوة الحياة ويشعروا بالحر والبرد ويطلعهم حيوانات مفترسة ويناموا في أي مكان وسط الأخطار ، يقوموا يرجعوا من الرحلات دي أقوىاء ويعتمد عليهم أما لو قعد كل أمير منهم في القصر يأكل ويشرب بمعلقة ذهب مش حينفع يتولي الحكم بعد أبوه
- فعلق المعلم سيد قائلاً :
- بس لا مؤاخذة ينفع الملك يسيب ابنه كده ؟ ده حتي ممكن ما يرجعش خالص من الرحلة دي
- لأ طبعاً بيكون باعت معاه ناس ثقة ومفتحين عينهم ، لكن ما بيتدخلوش إلا لما الخطر يقرب
- طب ولا مؤاخذة لو في ملك دلوقتي بيعت ابنه فين ؟
- ده سؤال جميل يا معلم ، لأن بالفعل ملوك أوروبا حالياً بيفضلوا يدخلوا أولادهم كليات عسكرية يتعلموا فيها الانضباط ويبقوا محرومين من حاجات كثير ، والنوم بميعاد والصحيان بميعاد ، وتبقي بديل عن موضوع رحلات الصيد
- لأ فكرة حلوة فعلاً
- انتم عارفين يا جماعة إن الفلاح بيستخدم الحرمان مع الزرع علشان يلاقي انتاج كويس
- آه بيحرم ولاده من الراحة
- لأ بيحرم الزرع نفسه من المياه لفترة ، يعني الزرع له جذور ، والجذور دي بتكون صغيرة ومش محتاجة تكبر لأن علي طول بتلاقي المياه والغذاء جنبها ، فمساحة الامتصاص عندها بتكون صغيرة ، فلما بيحرم الزرع من المياه ويعطشه ، طبعاً مش كل أنواع الزرع ، المهم الجذور تبدأ تكبر وتنتشر في الأرض علشان تدور علي المياه ، يقوم لما يديها المياه والغذا والسماذ تكون مساحة الامتصاص بتاعتها كبيرة فتدي زرعة حلوة

- والفلاح فاهم الموضوع ده ؟
- أكيد في فلاحين فاهمين بيعملوا كده ليه ، وفي فلاحين بيعملوا كده لأنهم اتعلموا كده بس من غير ما يعرفوا سر تعطيش الأرض ، لأ ده كمان موضوع الحرمان ده بيحصل مع الشعوب كمان ،
- يا سلام
- أيوه طبعا الشعوب لما بتتحرم من حاجات كتير بتضطر تنتجها ، علشان كده في دول كبيرة ما بتحرمش الشعوب دي من أي حاجة علشان تفضل محتاجاها علي طول في أكلها ولبسها وكافة شئ

فقال الأسطي فرغلي :

- علشان كده حشمت بك قال إنه غلط إنه ما حرمش ابنه من أي حاجة ، وخايف علي مشاريعه تضيع علي ايد ابنه لو حصل له حاجة
- أيوه طبعا يا ما أولاد مستهترين ضيعوا كل اللي عمله أجدادهم ، ده مش بس في الشركات ده كمان في الدول ، والتاريخ مليون عبر ، يعني مثلاً أولاد أحمد ابن طولون وأولاد الأخشيد في الدولة الطولونية والدولة الإخشيدية ما كانوا علي نفس مستوي القادة اللي أسسوا الدول دي فانهارت الدول دي من بعدهم ، وحنروح بعيد ليه أنا قرئت عن محمد علي باشا وأولاده كتير ، ويمكن حافظ فقرات كاملة من الكتب دي ، وكلها بتأكد إن أولاده ضيعوا كتير من اللي عمله محمد علي وكمان الاحتلال دخل مصر في عهدهم

فتكلم المعلم سيد وطلب من الأستاذ بهجت أن يذكر لهم إن أمكن بعض ما جاء عن هذا الموضوع من أحد هذه الكتب ، فقال الأستاذ بهجت إن آخر كتاب قرأه عن الموضوع ده كتاب ممتع جداً للكاتب الساخر محمود السعدني والكتاب اسمه مصر من تاني واسلوبه سهل وبسيط وساخر ، لدرجة أن الفقرة التي تتحدث عن أولاد محمد علي قد كتبها في دفتره لإعجابه بها كثيراً مما جعله يعيد قراءتها كثيراً ، وبالفعل قرأ الأستاذ بهجت ما ورد بالكتاب قائلاً:

- اسمع يا سيدي عمنا السعدني بيقول إيه :

( ترك - محمد علي باشا - وراءه حكماً دون المسؤولية جهلة ومتعاضمين وعلي درجة عالية من التفاهة ورأوا أن محمد علي أضاع حياته في ما لا يجدي وقضي العمر في ما لا ينفع وأن الحاكم الفذ هو الذي يستمتع بالسلطة ويهنأ بالسلطان ومر سعيد وعباس ومصر في حالة أكثر انحطاطاً مما كانت عليه أيام المماليك فأغلقت المصانع أبوابها وتحول الجيش إلي

أداة للزينة أيام التشريفه ووقت خروج المحمل وفي تشييع جنازات العظماء ، ثم جاء الخديوي اسماعيل وهو رجل طموح ولكنه في الوقت نفسه كان يحسب حساباته بدقة ولقد رأى أن محمد علي تعرض للهلاك عندما خرج يتحدى الغرب ولذلك قرر أن يهادن الغرب - وما دام الغرب قوياً فلا بد من أن يكون السبب هو نمط الحياة التي يحيها الغرب فقرر أن يتحول بمصر إلي الحضارة الغربية ، وهنا أخطأ اسماعيل في الحساب لأنه لم يدرك أن الحضارة ليست عملية تجميل فحسب - ولذلك سنراه يغرق في الديون حتي أذنيه ليجعل من القاهرة قطعة من أوروبا ولقد نجح اسماعيل في ذلك بالفعل ، شق الشوارع والميادين وبث النافورات والتماثيل وأقام المتاحف والمعارض ومد الجسور علي النيل وشيد القصور الملكية علي أريقي هندسة العصر وافتتح داراً للأوبرا وداراً للتمثيل وألف مجلساً للشورى وجعل من اللغة الفرنسية لغة رسمية للصالونات وال النوادي في عاصمة مصر

ولكن بصره لم يمتد إلي أبعد من القاهرة وعينه لم تلاحظ وجود فلاحين يعيشون في الريف عيشة أكثر تعاسة من عيشة الكلاب ، فلم يكن الريف في نظره إلا مخزناً للطعام ، ومستودعاً للبشر المستعدين دائماً للخدمة والصبر !!

استمع الجميع إلي هذا الكلام في دهشة وصمت ، وكالعادة لم يتمكن أحدهم من استيعاب كل ما جاء في هذا النص وساد الصمت فترة إلي أن انتهت الأمسية وعاد كل منهم إلي منزله ولنذهب معاً في صباح اليوم التالي إلي مكتب الأنسة نهى وهي تحاول أن تفهم كل شئ في قسم العلاقات العامة وتقوم بإعداد قاعدة بيانات لجميع المؤسسات والشركات والمصالح والأفراد الذين يتعاملون مع الشركة وكانت تقرأ جميع الخطابات الصادرة والواردة ، وتجتهد في الإلمام بكل ما يخص القسم ، فقد كانت تحاول أن تثبت نفسها فهي تستحق وضع أفضل مما هي فيه ، فقد سئمت وضعها كديكور في الشركة

ومع الوقت استطاعت تكوين قاعدة بيانات شملت كل تعاملات وتعاقبات الشركة واستطاعت إقناع فتاتين من نفس القسم يشعران بالملل ولهما نفس وضعها في الشركة تقريباً استطاعت أن تقوم بتفعيل شبكة الحاسب التي تربط أفرع وأقسام الشركة بقاعدة البيانات بحيث كل قسم يحدث بياناته بصفة دائمة مستغلة شخصيتها الطاغية وأسلوبها الجذاب ووضعها من حيث الذكاء الفردي وساعدها في ذلك أن الفتاتين متخصصتين في الكمبيوتر والشبكات ، ووصل الأمر بعد فترة من الوقت أن أي شخص في الشركة بالكامل يحتاج إلي أي معلومة يلجأ إلي قسم العلاقات العامة ، لأن قاعدة بياناته تشمل أدق تفاصيل تعاملات الشركة ويتم تحديثها بصفة مستمرة بواسطة فريق العمل ، الذي تديره نهى بشكل ودي ، وكان الأستاذ رامي سعيد جداً بما يحدث فقد أصبح القسم من أهم أقسام الشركة ،

وفي أحد لقاءاته مع الآنسة نهى سألها :

- انت إزاي عملتي كل ده ؟
  - الموضوع بسيط والأساس موجود فكان سهل نبني عليه
  - لكن إيه الدافع لعمل كل ده
  - حضرتك عارف إن أنا بحب الشغل وطالما مفيش حد بيكلفني بشغل عملت أنا شغل نفس ولزيمياتي كمان ، من غير ما نعطل حد أو نضايق حد
  - وعازية توصلني لإيه في النهاية ؟
  - نفسي أربط كل أفرع الشركة مع بعض وكمان المصانع ومنافذ التوزيع والمخازن بحيث يصب كل ده في شبكة واحدة ، وبكده تبقى الإدارة سهلة ومبينة علي معلومات دقيقة وصحيحة لأن زي ما حضرتك عارف إن مشكلتنا دائماً في الإدارة ، وفي شركات كتير خسرت بسبب سوء الإدارة
  - بس علشان عملي الكلام ده كله لازم إدارة الشركة تعرف وتكلم كل الجهات علشان تسهل لك شغلك
  - في الحقيقة أنا نفسي حضرتك تساعدني في الموضوع ده ، لأن أنا عندي أحلام كتير عازية أحققها ، وكمان أحلامي مش بس علي مستوي الشركة وطالما الموضوع أحلام ، فأنا بأحلم للبلد كلها
  - وأيه أكثر حلم نفسك فيه
  - نفسي أعمل قاعدة بيانات في كل مكان أروحه وبعدين أطلع للمستوي اللي بعده وأكبر قاعدة البيانات لغاية ما يبقى في مصر كلها مبني زي مبني شياشكو الموجود في اليابان
  - وإيه المبني ده ؟
  - ده مكان ممكن تخلص فيه كل مصالحك من غير ما تحتاج تأخذ أي ورق معاك لأن عندهم كل المعلومات المطلوبة
  - سيبك من موضوع اليابان وخلينا نشوف إزاي حناول نقنع الأستاذ رأفت بنشر نشاطك في أماكن تانية غير الفرع الرئيسي للشركة ، وبالمناسبة إيه المكان اللي عايزاه في البداية علشان تربطيه بقاعدة البيانات
  - المصنع طبعاً
  - حنشوف إيه اللي ممكن نعمله
- وانتهى اللقاء بين الأستاذ رامي والآنسة نهى علي وعد منه بمساعدتها

وفي ذلك الوقت كان الأستاذ رأفت في أحد مكاتب الشركة يناقش بعض الأمور مع رئيس المكتب ، ثم طلب منه معلومة سريعة عن أحد تعاملات المكتب ، فاتصل رئيس المكتب بالعلاقات العامة وطلب الحصول علي المعلومة ، مما أثار دهشة الأستاذ رأفت وسأله لماذا لجأ للعلاقات العامة رغم أن الموضوع من صميم شغل المكتب فأجاب

- أنا ممكن أجييب المعلومة طبعاً لكن الأسرع إني أجييبها من العلاقات العامة ، لأن في الحقيقة يا رأفت بك عندهم قاعدة بيانات رائعة وبتتحدث دايماً علي آخر موقف
- معقول الكلام ده ؟
- أيوه ، لأن في هناك أنسة اسمها نهى تقريباً ومعاها بنتين كمان شعلة نشاط
- وإزاي أنا ما عرفش الكلام ده ؟
- أصل الموضوع ده بيتم بهدوء ومن غير بروباجاندا ومش مؤثر علي نظام العمل في الشركة لأنه مجرد عمل موازي لجمع المعلومات

وبعد انتهى الأستاذ رأفت من هذا اللقاء توجه إلي العلاقات العامة وتحدث مع الأستاذ رامي عن قاعدة البيانات وسأله عن تفاصيل الموضوع فوجد الأستاذ رامي الفرصة سانحة كي يطلب منه ربط نشاط المصنع بقاعدة البيانات كخطوة أولي ، كما أرادت الأنسة نهى فسأله الأستاذ رأفت :

- مش دي البنت اللي عملت مشكلة في الميناء وأخرت البضاعة ؟
- في الحقيقة يا رأفت بك هي مظلومة في الموضوع ده ، بس شالت الموضوع لوحدها علشان محدش يحصل له حاجة
- أنا كنت حاسس بكده برضه لأن فعلاً خطأ زي ده المسئولية فيه مشتركة واندهدت لما قالوا إن الوظيفة الجديدة هي السبب
- عموماً هي بتحاول تثبت نفسها عندي في القسم وقطعت شوط كبير
- ليه بتعمل كده ، دي مش محتاجة تتعب نفسها خالص ، وممكن تستمتع بحياتها
- في ناس كده يا رأفت بك بتلاقي متعتها في تحقيق الذات والنجاح في العمل
- عموماً مفيش مشكلة ممكن بكرة تخليها تروح المصنع علشان تأخذ فكرة كاملة عنه وتشوف هي وزميلاتها إزاي ممكن يتم ربطه بقاعدة البيانات ، وأنا حاتصل بالمهندس سامر وحقوقه يقدم التسهيلات اللازمة ويستقبلهم كويس ،
- في الحقيقة مش عارف أقول لحضرتك إيه ده البنات حيفرحوا جداً

- المصلحة واحدة يا أستاذ رامي وكلنا نفسنا الشركة تنجح لأننا كلنا عايشين في خيرها ، وبالمرة أنا حأبلغ حشمت بك الموضوع كله ، وممكن كمان يروحوا المصنع بعربيته شخصياً

- كل واحدة فيهم معاها عربية وممكن يروحوا بعربية منهم  
 - لأ أنا أقصد لما يروحوا بعربية حشمت بك ومع السواق بتاعه حيبقي الموضوع له أهمية ويأخذ شكل رسمي واهتمام من اللي في المصنع  
 وبعد أن انتهى اللقاء وغادر الأستاذ رأفت قسم العلاقات العامة ، قام الأستاذ رامي بإبلاغ نهي وزميلاتها بما حدث ففرحوا فرحاً شديداً وخاصة الآنسة نهي فقد بدأت مرحلة جديدة في تنفيذ الخطة التي رسمتها وباتت تحلم باستكمالها

وفي صباح اليوم التالي أبلغها الأستاذ رامي أن سيارة حشمت بك تنتظرها هي وزميلاتها وفيها الأسطي فرغلي السائق كي يتجهون إلي المصنع ، ودار حوار مرح بينهم داخل السيارة ، وأخذ الحوار يتنوع بين موضوعات كثيرة من بينها النواحي الفنية والتقنية لعملية ربط المصنع بالشبكة وكذلك ما هي المعلومات المطلوب نقلها بين أطراف الشركة والمصنع ، ثم تحول الكلام إلي شياشكو ، حيث تحدثت نهي عن هذا المبني الراقي والرائع الموجود في اليابان وكيف أن حلم حياتها أن تري مثله في بلادها  
 وعندما سمع الأسطي فرغلي هذه الكلمة من الآنسة نهي تذكر الأستاذ بهجت عندما كان يرددها دون أن يوضح معناها ، فلم يتمكن الأسطي فرغلي من التحكم في نفسه وطلب من الآنسة نهي أن تكرر هذه الكلمة لأنه يريد أن يعرف كي يرددها كما طلب منها أن تخبره بمعناها فقالت :

- وانت سمعت الكلمة دي فين يا أسطي فرغلي ؟  
 - من واحد صاحبي بيقعد معنا علي القهوة لكن مثقف جداً وبيحب القراءة زي عينيه وأحياناً واحنا قاعدين نلاقيه قال الكلمة دي ، أصله راجل كبير في السن وعلي المعاش وكان بيشتغل طول عمره في المكتبات العامة ودار الكتب والكلام ده  
 - عموماً الكلمة هي شياشكو ، تعرف تقولها

- شاشكو

- لأ يا أسطي قول ورايا شياش

- شياش

- كو

- كو

- قولها علي بعضها بقي شياش كو

- شياشكو ، شياشكو ، يا سلام دي طلعت كلمة سهله خالص ، يعني إيه بقي ؟

وحاولت الآنسة نهي تبسيط الموضوع بحيث يسهل علي الأسطي فرغلي فهمه ، ولم تغير الموضوع وظلت تشرح له حتي استوعبه تماماً ، مما جعله سعيد جداً بما عرفه وفهمه فهو لا يستطيع الانتظار حتي يقابل عم حسين والمعلم سيد ويشرح لهما كلام الأستاذ بهجت وستصبح مفاجأة كبيرة للأستاذ طبعاً ، واشترك الجميع داخل السيارة في حديث باسم إلي أن وصلت السيارة إلي باب المصنع ، وعندما شاهد المسئولون عن أمن بوابة المصنع سيارة حشمت بك التي يعرفونها جيداً تقترب قاموا بفتح البوابة وأبلغوا سامر بك مدير المصنع ، كان سامر بك يجلس بمكتبه وغير مكترث بالموضوع برمته ولا يشعر بأي أهمية له ، ولكنه اضطر لمجازاة الأستاذ رأفت وهو يحدثه عن الفكرة هاتفياً ويحاول أن ينقل له حماس والده حشمت بك للموضوع بعد أن تعرف علي أبعاده ، فكان رد سامر فاتراً ووافق علي استقبال هذه اللجنة كما سماها الأستاذ رأفت ولكنه أضمر في نفسه أن يضع جميع العراقيل بحيث تفشل أي محاولة لربط نشاط المصنع بباقي أطراف الشركة ، لأن ذلك سيعوقه عن أداء عمله بحرية من وجهة نظره بالطبع ،

وكان يجلس مع سامر بك في مكتبه المهندس كمال ، وهو رجل ناضج في نهاية الأربعينيات من العمر ، وكان متزوج وله أولاد وكان هو المدير الحقيقي للمصنع ، فكان حشمت بك والأستاذ رأفت يعتمدون عليه تماماً في كل ما يخص شئون المصنع ، وكان راجح العقل وعلي درجة عالية من الأخلاق والحكمة أيضاً ، فقد كان يعرف دوره بالضبط في المصنع ولديه كافة الصلاحيات لتنفيذ ما عليه من التزامات ، وكان يتعامل مع سامر بك بحكمة ، فقد ترك له مظاهر الإدارة وما يحيط بها من أبهة بحيث يرضي غروره فهو لا يهتم شخصياً بمثل هذه الأمور فهو رجل عملي يعشق الإنتاج والعمل ويترك القرارات التافهة لسامر بك والتي يشعره بها أنه الكل في الكل كما يقال ، وكان سامر يعرف أن المهندس كمال هو المحرك الحقيقي للمصنع ولكنه لم يكن يهتم بكل هذا فهو لا يهتم إلا بأن يكون له وضع خاص داخل المصنع وهو ما يوفره له المهندس كمال بالفعل كما كان سامر ينسب لنفسه كل إنجاز يتم داخل المصنع ، وكان الجميع يجاريه في ذلك مع علمهم التام بمن هو المدير الحقيقي للمصنع ، وكان اختيار المهندس كمال للتواجد بالمصنع اختيار موفق من حشمت بك ، وبالطبع تلقي المهندس كمال مكالمة هاتفية من الأستاذ رأفت كي يسهل عمل الآنسة نهي ومن معها وعندما وصلت نهي وزميلاتها إلي مكتب سامر بك ، شعر فجأة بإحساس عجيب ، وارتباك مفاجئ ، حتي أنه كاد أن يتلعثم أثناء ترحيبه بهم ، فقد كانت نهي أجمل فتاة وقفت أمامه

طيلة حياته ، وتحديث إليه برقتها المعهودة وأنوئتها الطاغية دون أن تقصد بالطبع ، ولكنه اندهش مما صار عليه حاله ، فهو الشاب المجرب الذي لا يمكن لأي فتاة أن تسيطر عليه ، وهو الشاب الوسيم الذي تتمني الكثيرات أن يكلمهن ولو كلمة واحدة ، وظل سامر شارداً إلي أن قالت له نهي في أدب جم ورقة متناهية :

- احنا حنفضل واقفين كده كثير

- يا خبر لأ طبعاً اتفضلوا اقعدوا ، تشربوا إيه ؟

- أهم من موضوع المشروبات احنا عايزين نكلم حضرتك في موضوع ربط المصنع بشبكة الشركة وكمان كنا عايزين بعد إذن حضرتك نأخذ جولة في المصنع ونتعرف علي طبيعة تداول المعلومات فيه

- يا ستي أنا تحت أمرك ، بس لازم تشربوا حاجة واحنا بنتكلم علي الأقل ، علي العموم ناخذ عصير فريش ده مفيش حد بيختلف عليه إيه رأيكم ؟

فوافقوا جميعاً ثم بدأت نهي تتحدث في الموضوع وتوضح أبعاده ، والمهندس كمال ينصت باهتمام ، بينما كان سامر يتأمل شفيتها وهي تتكلم ويتابع حركة يديها الرقيقتين وهي تشاور بهما ، وينظر إلي عينيها ، وهو شارد الذهن تماماً ويكاد لا يفهم أي شئ مما تقوله ، وبعد أن انتهت من كلامها ، سألت سامر بك :

- إيه رأي حضرتك ؟

- في إيه ؟

وهنا أدركت نهي تماماً أن سامر لم يكن يستمع إلي ما تقول وأنه كان شارد الذهن ، وكانت من الذكاء بحيث أدركت السبب في ذلك ، لقد كانت تسمع الكثير من الأحاديث المتداولة في الشركة عن سامر ابن حشمت بك وكيف أنه شاب مستهتر لا يهتم إلي بمتعته الخاصة ، وأنه يسبب الكثير من المتاعب لوالده ، ولكنها لم تكن من هذا النوع من الناس الذي يحكم علي الآخرين بمجرد السماع وكانت دائماً لا تحكم علي أي شخص إلا بعد أن تتعامل معه شخصياً ، وبعد أن أدركت أنه لا فائدة من الكلام مع سامر بك وجهت حديثها للمهندس كمال الذي كان يتابع كلامها باهتمام بل كان يستفسر منها أحياناً عن بعض الأمور أثناء الحديث ، حتي أنها شعرت بأن لديه فكرة مسبقة عن الموضوع فقالت له

- وحضرتك إيه رأيك ، لأن سامر بك باين عليه كان مش معنا ؟

فتكلم سامر بك قبل المهندس كمال :

- لأ إزاي ده أنا معاكم جداً ، المهم أكيد حنشوفكم كثير كل يوم لغاية الموضوع ده ما

يخلص

وهنا استأذنه المهندس كمال في اصطحاب اللجنة للتجول في المصنع واستكمال الحديث ، ومن هذه اللحظة كان المهندس كمال هو هدف اللجنة في التعامل والمناقشة ، وممر اليوم وانتهت الجولة بالمصنع واتفق معهم المهندس كمال علي جميع التفاصيل ، وبرنامج العمل ، وكان سامر يهز رأسه مبتسماً ، ويحاول أن يلفت نظر نهي إليه بكل الوسائل ، وفي المساء جلست نهي تفكر في غرفتها فيما حدث طوال اليوم ، ودون أن تدري السبب لأول وهلة تذكرت الملكة كليوباترا السابعة في نهاية عصر البطالمة في مصر ، عندما سيطرت علي قادة روما بجمالها الأخاذ يوليوس قيصر ومن بعده ماركوس أنطونيوس ، لتحقيق مصالحها ومصالح مصر ، فهل ستعيد نهي هذا السيناريو في الشركة ، فكل من تقابله بها يتأثر بجمالها لدرجة أن يصبح سهل الانقياد لإرادتها ، ثم أخذت تراجع القصة التاريخية بهدوء ، وقامت بفتح الحاسب اللوحي الخاص بها (التابلت) وبدأت في قراءة كتاب تاريخ يتناول هذا الموضوع وأخذت تتأمل القصة ، قصة الجمال والقوة ، ولكن من يضمن لها عدم ظهور أوكتافيوس أغسطس آخر لينتقم منها لروما ويضم مصر نهائياً للإمبراطورية وتنتهي حياتها نهاية مأساوية

أخذت نهي تعيد قراءة الأحداث وتتحدث إلي نفسها وتذكر كيف تولي بطليموس الثاني عشر حكم مصر وتزوج أخته كليوباترا السادسة فكان أهل الإسكندرية يطلقون عليه لقب (الزمار) لأنه كان يحب الرقص والغناء والشرب ويحب العزف علي المزمار ، وعندما ثار عليه شعب الإسكندرية هرب سراً إلي روما وأوصي في وصيته أن يتولي عرش مصر من بعده أكبر بناته وهي كليوباترا السابعة وكان يتحتم عليها أن تتزوج من أخيها الصغير بطليموس الثالث عشر طبقاً لوصية أبوها ولكنها حاولت التخلص منه والانفراد بالسلطة وحدها ، وهنا تدخلت روما أيضا في هذا الصراع حيث حاول يوليوس قيصر التوفيق وفض النزاع بين كليوباترا وأخيها وطلب حضورهما للقصر الملكي في الإسكندرية وهذا يعتبر تدخل سافر وإهانة عظمي فكان موكب يوليوس قيصر في شوارع الإسكندرية يثير كراهية الجماهير ، ثم استطاع يوليوس قيصر أن يدعم موقف كليوباترا ويجعلها ملكة علي البلاد بعد مقتل أخيها أثناء الصراع ، وظل قيصر في مصر مع كليوباترا لفترة بعد ان وقع في غرامها ثم عاد إلي روما بعد أن ترك لكليوباترا قوة رومانية لحمايتها ، ثم أنجبت كليوباترا منه ولدا ولم تعترف روما بهذا الزواج ، ثم قامت كليوباترا بزيارة روما ومعها ابنها من يوليوس قيصر ليلم الاعتراف به دون جدوي ، حاولت كليوباترا أن تعيد أمجاد البطالمة الأوائل وتنهض بمصر مستغلة جمالها وسيطرتها علي قادة روما ، يوليوس قيصر ثم أنطونيوس بعد مقتل يوليوس قيصر ، ولكن القائد الروماني الشهير أوكتافيوس لم يرضي بهذا الوضع لأن أوكتافيوس وجد

أن كليوباترا لها تأثير عجيب علي القادة الرومان وتقريباً تحكم نصف الإمبراطورية الرومانية مستغلة حب أنطونيوس لها ،

فكانت معركة بحرية كبيرة ( معركة أوكتيوم ) انتصر فيها أوكتافيوس ودخل مصر منتصراً وضمها رسمياً إلي الإمبراطورية الرومانية وكان ذلك في شهر أغسطس عام 30 ق م أما أنطونيوس فقد هرب إلي مصر عندما تأكد من هزيمة أسطوله أمام أوكتافيوس وعندما وصل أشاعت كليوباترا أنها انتحرت ولم يتحمل أنطونيوس خبر انتحار كليوباترا فانتحر علي الفور وجاء الإمبراطور الروماني أوكتافيوس أغسطس إلي مصر وأرسل قوة للبحث عن كليوباترا لينتقم منها بعد كل ما فعلته في قادة الرومان يوليوس قيصر ثم ماركوس أنطونيوس وعندما شعرت كليوباترا أنها ستهان وتعاقب عقاب لا يليق بها قامت بالانتحار عن طريق لدغة ثعبان لتهرب من المصير السيئ الذي ينتظرها وتم قتل ابن يوليوس قيصر الذي أنجبه من كليوباترا وبدخول أوكتافيوس تم إعلان وفاة عصر البطالمة للأبد بعد أن استمر أكثر من ثلاثة قرون تزوجت خلالها الحضارتين المصرية والإغريقية

ثم أفادت نهي من تركيزها في هذا الحدث التاريخي وعادت لتفكر وتساءل نفسها ، هل ستقوم بدور كليوباترا لتحقيق أهدافها ؟ إلي أن غلبها النوم

وفي ذات الليلة كان الأسطي فرغلي يجلس مع أصدقاءه علي المقهي يستعرض في زهو معلوماته القيمة والمثيرة عن مبني شياشكو الياباني ، وكانوا يستمعون إليه في إعجاب ودهشة وبعد أن انتهى من حديثه ، سأله الأستاذ بهجت :

- بس انت عرفت كل ده منين ؟
- من الأنسة نهي في الشركة ، وأنا بأوصلها هي وزميلاتها في الشركة للمصنع ، بعربية حشمت بك هي فتحت معاهم الموضوع ده فسألته عنه وشرحتهولي
- واضح إنها مثقفة وعندها وعي
- جداً يا أستاذ دي من ساعة ما جت الشركة وهي بتلف زي النحلة وكل الموظفين بيتكلموا عنها ، انت عارف يا أستاذ أنا نفسي تقابلوا بعض وتكلموا أكيد حيكون كلام مفيد جداً

- ياريت بس إيش لم الشامى علي المغربي

ثم تكلم عم حسين وسأل الأستاذ بهجت :

- ناوي تحكي لنا إيه الليلة دي ؟
- زي ما انتوا عايزين ، تحبوا نتكلم في إيه ؟

فطلب منه المعلم سيد أن يروي لهم قصة من التاريخ لما فيه من عبر ، وسأله :

- هل فعلاً يا أستاذ بهجت كان في يوم من الأيام واحدة اسمها قطر الندي ؟  
وقبل أن يجيب الأستاذ بهجت فوجئ الجميع بعم حسين يعني :

- الحنة الحنة يا قطر الندي

فأجاب الأستاذ بهجت :

- أيوه طبعاً دي أشهر عروسة في تاريخ مصر وكانت بنت خماروية ابن أحمد بن طولون مؤسس الدولة الطولونية في مصر وده كان من الشخصيات الغير عادية في التاريخ

ثم رشف من فجان القهوة رشفة وتنهد تنهيدة طويلة ثم قال :

- كام واحد بيتولد ولادة عادية جداً ، وبعدين بيقضي طفولة عادية جدا وبعدين يتعلم

تعليم عادي جداً وبعدين يشتغل شغلانة عادية جداً وبعدين يتجوز جوازة

فرد الجميع ضاحكين :

- عادية جداً

- وبعدين يخلف أولاد

- عاديين جداً

- وبعدين يموت موتة

- عادية جداً

- لو سألنا نفسنا كام واحد عادي جداً عاش علي الأرض من عهد آدم لغاية دلوقتي

حنلاقي نفسنا مش عارفين نجابو ونحسب العدد ، لكن لو حاولنا نعد كام واحد غير

عادي في تاريخ البشر حنعرف نجابو طبعاً وبسهولة لأن الشخصيات الغير عادية

فرضت نفسها علي كتب التاريخ

فسأل الأسطي فرغلي :

- يعني ابن طولون من الناس الغير عاديين ؟

- أيوه طبعاً ، لكن خمارويه ابنه ما كانش علي نفس المستوي

- وده أبو قطر الندي اللي بنتكلم عنها ؟

- بالظبط كده ، وتعالوا نشوف إيه المكتوب عن الموضوع ده في الدفتر ، وأخذ يقلب في

صفحات دفتري الذي دون فيه أروع ما قرأ خلال عمله بالمكتبات ، ثم بدأ في القراءة :

أكد العديد من المؤرخين أن خمارويه لم يكن علي نفس مستوي أبيه من القوة والعظمة بل

الفترة التي جاءت بعد ابن طولون كانت تشبه السير بالقصور الذاتي حيث أن العجلة التي

أدارها ابن طولون بقوة لم يعد أحد بعده يديرها بل ظلت تدور تائراً بقوة ابن طولون فقط إلي

أن توقفت تماماً وإنهارت الدولة ، ولأن ابن طولون أسس دولة قوية وأدار العجلة بقوة دفع ضخمة فقد ظلت تدور فترة ليست بالقصيرة حتي توقفت تماماً ، وغاية ما يقال عن خمارويه أنه كان مسرفاً إلي حد ما ( - - ) ولم يحسن خمارويه الاستفادة من الأموال الجمة التي تركها له أبوه فأخذ يسرف في البناء وأنواع الترف ( - - ) ، وكان الخليفة المعتمد قد مات هو وأخوه الموفق وخلفه الخليفة المعتضد بالله بن الموفق ، واهتم خمارويه باكتساب ود الخليفة العباسي الجديد وعرض عليه ( - - ) زواج ابنته أسماء التي تلقب بقطر الندى من ابن الخليفة ولكن الخليفة اختارها لنفسه فوافق أبوها علي ذلك وجهازها يفوق الوصف مما أدى إلي إفلاس مصر وقد أفاضت المصادر في وصف جهاز العروس ( - - ) ويقال أن خمارويه أمر ببناء قصر علي رأس كل مرحلة من مراحل المسافة بين مصر وبغداد لتقييم فيه ابنته أثناء سفرها إلي الخليفة ( - - ) مجهز بكل وسائل الراحة والرفاهية كأنها في قصر أبيها في مدينة القطائع إلي أن وصلت بغداد ودخل بها الخليفة المعتضد في ربيع الآخر سنة 282 هـ ( مايو 895 م ) وغاية ما يقال عن عصر خمارويه وما بعده وحتى انتهاء الدولة الطولونية ما قاله الكاتب محمود السعدني عن ابن طولون وأولاده ( - - ) فلما مات ماتت دولته كذلك وإن بقيت أمام الناس فترة من الوقت ولكن الذي قام لم يكن دولة ابن طولون ولكن شبح الدولة وصدي الصوت القوي الذي كان يتردد في جنباتها يوماً ما غير بعيد ( - - )

وكالعادة ساد الصمت قليلاً بعد انتهاء كلام الأستاذ بهجت ثم انتهت الأمسية وغادر كل منهم المقهي إلي منزله ، كما لو كان الأستاذ بهجت يحكي لهم كل ليلة حدوته قبل النوم وفي صباح اليوم التالي توجهت الأنسة نهي إلي الشركة لتجد مفاجأة سارة في انتظارها ، إذ أن حشمت بك قرر إنشاء قسم جديد في الفرع الرئيسي للشركة علي أن تتأسسه هي شخصياً ومعها زميلاتها ، ويختص هذا القسم بالمعلومات والمتابعة ، وكان اسمه بالفعل قسم المعلومات والمتابعة ، وقرر أن يختص بجميع أنشطة حشمت بك الصناعية والتجارية والزراعية ، وأن يتم تعاون الجميع مع القسم وتوفير جميع المعلومات التي يحتاجها ، في جميع الجهات ، بل أكثر من ذلك قرر أن يتم توفير سيارة خاصة للقسم بقيادة الأسطي فرغلي لمعرفة جميع عناوين وأماكن الشركات والأفرع وكل الجهات التي يذهب إليها حشمت بك وبالرغم من أنه خير سار إلا أن نهي شعرت بمسئولية كبيرة ، وشعرت بأنها لا بد أن تبذل مجهود جبار لتكون عند حسن ظن حشمت بك وقد تم استدعاءها لمقابلته بالفعل في حضور الأستاذ رأفت بالطبع ودار بينهما حوار بدأه حشمت بك بقوله :

- أهلاً يا آنسة نهي ، عاملة إيه ، وبابا عامل إيه ؟

- كويسة يا أونكل ومرسي أوي علي الثقة الكبيرة دي ، وياريت أكون عند حسن ظن حضرتك

واستمر الحوار بينهما علي هذا المنوال إلي أن انتهى اللقاء ، ثم انتشر الخبر بعد ذلك في الشركة بالكامل بل في جميع الجهات التابعة لمجموعة شركات حشمت بك والتي ستخضع لقاعدة البيانات وعليها توفير كل المعلومات المطلوبة منها لقسم المعلومات الجديد وأصبحت الأنسة حديث الجميع ، من مديرين وموظفين وعمال وحتى السائقين ، والكل يتساءل كيف استطاعت هذه الفتاة الصغيرة نسبياً أن تكسب ثقة أكبر رأس في الشركة ، ومعاونه الأول رأفت بك ، وكان هذا الحديث مادة للدردشة خارج شئون العمل ، فمنهم من يقول أن ذكاءها ولباقتها ومهارتها هم السبب ، ومنهم من يقول أن جمالها وأناقته وذوقها الرفيع هم السبب ، ومنهم من يقول أن والدها رجل الأعمال الشهير هو السبب ، ومنهم من يجمع كل هذه الأسباب معاً ،

وفي المساء فتح الأسطي فرغلي هذا الموضوع مع الأستاذ بهجت علي المقهي ومعهم المعلم سيد وعم حسين ، ليكون مادة للسمر في هذه الأمسية ، فقال الأستاذ بهجت للأسطي فرغلي معلقاً علي هذا الموضوع :

- مش عارف ليه الموضوع ده بيفكرني بقصة طريفة سمعتها في محاضرة خلال ندوة من الندوات بتاعة المكتبة اللي كنت باشتغل فيها ده انا حتي كتبتها في الدفتر بتاعي
- قول يا أستاذ قول وسمعنا خلي السهرة تحلي
- لأ صحيح الموضوع ده فكرني بقصة اسمها النملة والإدارة
- نملة إزاي يعني ؟
- أصلها قصة خيالية وأبطالها مش بني آدمين
- آه فهمت ، وبتقول إيه القصة دي

فأخذ الأستاذ دفتره وأخذ يقلب بين صفحاته المرتبة والمفهرسة إلي أن وصل لصفحة القصة ثم رشف رشفة من فنجان القهوة وقال شوف ياسيدي وبدأ في القراءة :

كل يوم تتوجه نملة صغيرة إلي عملها بكل جهد ونشاط وتبدأ عملها باكراً قبل الجميع ، حيث كانت تنتج بكل سعادة وعطاء ، أستغرب الأسد (المسئول) من كفاءة النملة والتي كانت تعمل من دون إشراف ، وفكر بما أن النملة تعمل بهذه الطاقة من دون إشراف فكيف سيكون عملها في حالة وجود إشراف ، وقام بتوظيف نمر حيث كان لديه خبرة في الإشراف وكتابة التقارير ، وقام أيضاً بتوظيف عنكبوت لإدارة الأرشيف ومراقبة المكالمات الهاتفية

ابتهج الأسد بتقارير النمر حيث طلب منه تطوير التقارير بوضع رسوم بيانية أكثر توضيحا وتحليل المعطيات بعمق أكثر لعرضها على اجتماع مجلس الإدارة فكان أول قرار له وضع نظام للحضور والانصراف ، ووجد نفسه في حاجة لتوظيف سكرتارية لكتابة التقارير و غيرها ، فقام النمر بشراء جهاز كمبيوتر وطابعة ليزر ملونة و... وقام بتوظيف ذبابة مسئولة عن قسم أنظمة المعلومات ، النملة التي كانت تنتج وتطور أدائها بحرية كرهت كثرة الورق في النظام الجديد و الاجتماعات الذي كان يضيع وقتها ،

فقطع المعلم سيد قراءة الأستاذ بهجت وقال :

- إيه ده كله يا أستاذ ، كل دول علي نملة واحدة شغالة ؟

- لسه يا معلم القصة ماخلصتش

فقال الأسطي فرغلي :

- وعلي كده الأنسة نهني تبقي النملة ولا الذبابة

فقال عم حسين :

- يا جماعة استنوا بس حنفهم كل حاجة دلوقتي ، كمل يا أستاذ

فقال الأستاذ بهجت :

- احنا كنا واقفين فين ؟

- عند الذبابة يا أستاذ بتاعة الكمبيوتر

فأكمل الأستاذ القراءة :

وقام بتوظيف ذبابة مسئولة عن قسم أنظمة المعلومات ،

النملة التي كانت تنتج وتطور أدائها بحرية كرهت كثرة الورق في النظام الجديد و الاجتماعات الذي كان يضيع وقتها ، وهنا أستنتج الأسد بوجود مشكلة في الأداء وعليه يجب تغير آلية العمل في القسم ، فاحتاج خبير لتطوير الأداء

وقام بتقديم هذا المنصب إلى جرادة خبيرة في التطوير الإداري حيث كان أول قراراتها شراء أثاث جديد وسجاد لتحسين راحة الموظفين

فقال المعلم سيد :

- أثاث إيه ونيلة إيه بلا خيبة

فتكلم عم حسين :

- يا معلم استني بس خيلنا نشوف الحكاية ما تستعجلش

- ما هي حاجة تلخبط الدماغ ولا مؤاخذة ،

- ما الأستاذ قال إنها قصة خيالية اسمع بقي ، أيوه يا أستاذ ، احنا كنا عند الجراد  
فأكمل الأستاذ بهجت :

كما قامت الجرادة بشراء كمبيوتر وأحضرت مساعد شخصي كان يعمل معها سابقاً لمساعدتها  
في وضع الاستراتيجيات التطويرية و تقنين الميزانية ، القسم الذي كانت تعمل به النملة أصبح  
قسم حزين ولا يوجد مكان للضحك والجميع أصبح محبط  
وهنا جاء النمر باقتراح للأسد لدراسة البيئة العامة للعمل ، وبعد مراجعة تكلفة التشغيل للقسم  
وجد الأسد بأن التكلفة السابقة أقل بكثير من التكلفة الحالية ومن الضروري تقليص النفقات ،  
وهنا قام بتوظيف بومة كمستشار إداري ومدقق داخلي لإيجاد الحل المناسب لهذه المشكلة ،  
قامت البومة وبعد دراسة استدامت ثلاثة شهور برفع تقرير مهم يستنتج بأن القسم ، متضخم  
من ناحية عدد الموظفين ، توقع من قام الأسد بفصله أولاً ؟  
النمر ، العنكبوت ، النملة ، الذبابة ، الجراد ، أم البومة ؟  
فرد المعلم سيد وقال :

- أكيد فصلهم كلهم طبعاً وساب النملة  
- طيب إيه رأيك إنه فصل النملة لقصور أدائها ، وعلي فكرة في نهاية القصة مكتوب  
ملاحظة ظريفة بتقول : جميع الشخصيات في هذه القصة خيالية أي تشابه في  
الوظائف أو الحقائق مع المؤسسة هي من محض المصادفة ولم تكن مقصودة  
فقال الأسطي فرغلي سائلاً الأستاذ بهجت :

- تفكر يا أستاذ الأنسة نهي عارفة القصة دي ؟  
- ممكن طبعاً لو كانت درست إدارة أو مراقبة جودة وحاجات زي كده ، لأن القصة دي  
متداولة في بعض المحاضرات اللي بتتناول المواضيع دي  
- ياريت تحكي لنا قصة كمان

فضحك الأستاذ بهجت وقال : وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح ، يادوب  
كده الوقت مناسب علشان نروح ننام  
وانتهت الأمسية وغادر الجميع إلي بيوتهم ،

وحان الوقت كي نذهب إلي غرفة نوم الأنسة نهي التي كانت تجلس علي مكتب صغير بغرفتها  
وأمامها مجموعة من الأوراق والأقلام الملونة ، وتفكر بعمق لتضع خطة العمل داخل قسمها  
الجديد ، فقد قررت أن تجمع جميع البيانات الخاصة بكل شئ في مجموعة شركات حشمت بك  
، بداية من كل بيانات العاملين التي تشمل أدق التفاصيل من الاسم والمؤهل والسن والعمل

القائم به ومحل السكن والحالة الاجتماعية وحتى الصورة والهوايات وفصيلة الدم وكل ما يمكن أن تتخيله ولا تتخيله ، حتي أنها ابتسمت وهي تفكر أن تشمل البيانات خفة الظل كما أنها قررت تجميع بيانات الماكينات والعربات والأجهزة وحتى الهواتف والفاكسات والمكاتب والمقاعد وحالتها الفنية وما تبقي من عمرها الافتراضي وأرقامها إن وجدت ومواعيد الصيانة والجهات الموردة لها ، كما قررت جمع بيانات عن جميع الأنشطة التي تتم ، وما تم منها وما لم يتم بعد أو جاري تنفيذه ومواعيد كل إجراء مطلوب ، وجميع الالتزامات المطلوبة وتوقيتاتها ، وحتى أنها فكرت في جمع بيانات جميع المنشآت والمباني بأبعادها وتواريخ بناءها ، ولم تترك أي شئ في مجموعة حشمت بك من نشاط صناعي أو تجاري وحتى المزرعة وجميع بياناتها والعاملين بها والحيوانات المتواجدة بها وابتسمت أيضاً وهي تفكر إذا كان هناك بط وأوز وفراخ بالمزرعة

وكانت تفكر في كل هذا وهي في قمة السعادة والتفاؤل والإصرار علي تحقيق النجاح وإثبات الذات ، فكل ما درسته بالجامعة وكل الدورات التي حصلت عليها ستسخرها لخدمة عملها الجديد ، ثم استلقت علي فراشها ونظرت إلي السقف وسرحت بخيالها ، وقالت :

سأجعل الجميع يعرف معنى كلمة شياشكو

وفي الصباح ذهبت نهي إلي العمل وبدأت في تنفيذ ما خططته وكان الجميع يتابع تحركاتها ونشاطها ، ولكن يختلف كل منهم في الدوافع ، فمنهم من كان يكره كل ما تفعله ويتمني لها الفشل ومنهم من كان يتابعها بإشفاق وحب ويتمني لها النجاح ، وكان الكثيرون في حالة قلق من عملية ربط كل شئ في الشركة بشبكة واحدة ، بل مجرد تجميع البيانات كان يثير اشمئزاز البعض ومنهم بالطبع أعداء النجاح ، واستمرت نهي تعمل بإصرار هي وزميلتها في القسم وتتحرك باستمرار من مكان لآخر ، وكان الأسطي فرغلي يصاحبها في كل مكان بحكم عمله ، حتي أنها سجلت رقم تليفونه لتسهيل عملية التواصل معه

وكان هو أيضاً يتابع ما تقوم به ، بل كان أصدقاءه علي المقهي أيضاً يرون أنها بداية قصة تحدي مثيرة ويستفسرون عن أخبار الأنسة نهي باستمرار فكان الأسطي فرغلي ينقل لهم كل جديد باستمرار ، وكانت نهي تقدم تقرير يومي لحشمت بك يشمل نشاط قسم المعلومات والمتابعة ويحتوي علي جميع موضوعات المتابعة بالشركة وأفرعها ، والتوقيتات المهمة والعاجلة التي يجب أن تلتزم بها الشركة للقيام بالتزاماتها

وتمر الأيام ويسافر حشمت بك إلي فرنسا مصطحباً ابنه سامر ويظل هناك لفترة ، فيتولي الأستاذ رأفت إدارة الشركة ، وقد أتاح سفر حشمت بك لبعض الموظفين والمديرين إظهار العداء الصريح لنهي ومشروعها حتي أن بعضهم كان يخفي عنها العديد من البيانات بحجة

أنها أسرار الشركة ولا يصح أن يتم تداولها بهذا الشكل وكان ذلك يزعج نهي كثيراً ، وخاصة أن الأستاذ رأفت كان مشغول عن متابعة مثل هذه الأمور ، وكانت نهي تتحدث كثيراً في السيارة مع الأسطي فرغلي وكثيراً ما كانت تشكو له همومها ، لعلمها بنقاء سريرته وإشفاقه عليها ، وكان ذلك يريحها نفسياً وفي أحد الأمسيات علي المقهي تحدث الأسطي فرغلي عن المعوقات التي تواجهها الآنسة نهي ، وأخبر أصدقاءه بموضوع سفر حشمت بك إلي فرنسا ، فقال الأستاذ بهجت :

- الفترة اللي جاية ممكن تكون صعبة جداً علي الآنسة نهي
- أكيد يا أستاذ ، لأن حشمت بك كان بيسهل لها حاجات كتير حتي من غير ما تعرف
- علشان كده حنعرف إذا كانت الآنسة نهي بتعرف تتصرف لوحدها فعلاً ، ولا كل اللي بتعمله مبني علي وضعها الاجتماعي بس ؟

فقال المعلم سيد :

- أنا شايف إنها بنت ذكية وحتعمل كل اللي هي عايزاه وما تنساش إنها حلوة زي ما بيقول الأسطي فرغلي ، والجمال اليومين دول بيعمل حاجات كتير ، المهم يا أستاذ ناوي تحكي لنا إيه النهارده ؟

كان الأستاذ بهجت كعادته يحكي لهم كل ليلة حكاية من حكاياته الطريفة ، وكثيراً ما كان يقرأ لهم من دفتره ، فقال الأستاذ بهجت :

- موضوع فرنسا فكرني بالخدوي اسماعيل لما زار مرة باريس ، واشتري قصر غالي جداً مجاملة

فقال عم حسين :

- يعني إيه يشتري قصر مجاملة

فأخذ الأستاذ بهجت يقلب في دفتره باحثاً عن هذا الموضوع الذي يذكر جيداً أنه سبق وأن دونه به وأثناء بحثه وجد مقتطفات من كتاب (محمد علي وأولاده) للمؤرخ الشهير جمال بدوي يتكلم فيها عن الخديوي اسماعيل بشكل عام قبل أن يتطرق لموضوع شراء القصر فقال الأستاذ بهجت :

- انتم عارفين طبعاً إن الخديوي اسماعيل كان بيحب يقلد أوروبا في كل حاجة لدرجة إنه عمل برلمان علشان كان دايماً يسمع ملوك أوروبا وهما بيتكلموا عن برلماناتهم الموجودة في بلادهم ، فعمله علشان يتباهي به وسماه مجلس شوري النواب وتقريباً ما كانش ليه أي صلاحيات مهمة ، لكن البرلمان اللي عمله كان عامل زي اللي حضر

عفريت وما عرفش يصرفه ، إيه رأيكم أحكي لكم موضوع البرلمان الأول وبعدين  
القصر ؟

فرد المعلم سيد قائلاً :

- كل حواديتك حلوة يا أستاذ بس ما تجيش بعد ما تخلص حكاية البرلمان تقول شهرزاد  
عايزة تنام ، يعني لازم تحكي الحكايتين

- مفيش مشكلة لأنهم مكتوبين مع بعض في الدفتر ، شوف يا سيدي الأستاذ جمال  
بدوي بيقول إيه : ( كان أقصي ما يريده اسماعيل أن يبدو أمام ملوك أوروبا في  
صورة الفنجري القاعد علي أموال قارون ثم ينثرها ذات اليمين وذات الشمال ولو عن  
طريق السلف من بيوت الربا والبنوك الأوروبية وكان هؤلاء الملوك يعرفون الحقيقة  
المفزعة وهي أن هذه الأموال هي من خزائن بنوكهم وهي بضاعتهم ردت إليهم في  
أشكال من السفه والبذخ والفشخرة الكدابة لم يعرف لها التاريخ مثيلاً )،

- يعني يستلف منهم وبعدين يصرف عليهم ، دي حاجة غريبة أوي

- ( ومضي اسماعيل في تقليد الأوروبيين في عاداتهم وسلوكياتهم وملابسهم  
وسهراتهم متناسياً أنه حاكم مسلم يحكم شعباً مسلماً له موروثاته وعاداته وتقاليده  
وأن تبديل العادات والتقاليد عن طريق الصدمات والطفرات يؤدي إلي نتائج عكسية لأن  
عملية التطور الاجتماعي تتطلب تهيئة ذهنية وثقافية طويلة المدى ولم يلتفت إلي  
ملاحظات وانتقادات رجال الدين لمظاهر التفرنج بل بطش بمشايخ الأزهر عندما  
عارضوه وانتشي بمدائح الكتاب الأوروبيين الذين باركوا سياسته وإنهالت مقالاتهم  
بنزغته التحررية ومسايرته لروح العصر ولم تكن هذه المقالات لوجه الله وإنما مقابل  
الأعطيات التي كان يغدقها عليهم الخديو والتي بلغت خمسة ملايين جنيه في تقدير  
بعض المؤرخين )

فتعجب الجميع مما يقوله الأستاذ بهجت نقلاً عن المؤرخ جمال بدوي وكادوا لا يصدقون ما  
يسمعون ، ثم تساءل المعلم سيد :

- أمال فين حكاية البرلمان يا أستاذ ؟

فاستكمل الأستاذ بهجت القراءة قائلاً :

- ( هل كان اسماعيل وهو يضع لبنات مجلس شوري النواب يتوقع أن ينقلب الهزار إلي  
جد ؟ وأن يتحول هذا المجلس الضعيف المسالم إلي شريك مخالف شرس ؟ وأن  
يصيح أحدهم في وجه الطاغية حين أراد فض المجلس دون النظر في الميزانية : أننا  
هنا سلطة الأمة ولن نخرج من هنا إلا بقوة الحراب (!! ) قالها عبد السلام المويلحي

في صباح يوم الخميس 27 مارس 1879 م عندما توجه رياض باشا وزير الداخلية ورمز الاستبداد وهو منتفخ الصدر إلي قاعة مجلس النواب بالقلعة لیتلو قرار فض الدورة حتي تكتمل المؤامرة التي دبرها رئيس الوزراء نوبار باشا مع الوزيرين الدخيلين - الإنجليزي والفرنسي - لإعلان إفلاس مصر كحل أخير لأزمة الديون الأجنبية وعلمت العناصر الوطنية في المجلس بما تدبره الحكومة في الخفاء ، فأعدوا مشروعاً مضاداً يقضي أن يلتزم المصريون بتسديد الديون من دخلهم القومي بشرط تنظيم الشؤون المالية وإصلاح مفاصد الإدارة بعيداً عن الوزيرين الأجبيين ) وبالرغم من مغادرة رياض باشا المجلس غاضباً ظل المجلس في حالة انعقاد وتناوب الأعضاء علي المبيت في القاعة حتي استقالت الحكومة

- يعني برلمان مالوش صلاحيات اتسبب في استقالة الحكومة ، أمال لو كان ليه صلاحيات كان عمل إيه ؟

- طبعاً يا معلم أي برلمان مهما كانت ظروفه وظروف تكوينه لازم يكون بيمثل الشعب ودايماً بيعمل قلق لأي حكومة ، المهم تعالوا نقرأ عن زيارة الخديوي اسماعيل لباريس ونشوف موضوع القصر اللي اشتراه وبدأ الأستاذ يقرأ ما كتبه جمال بدوي :

- ( ذهب الخديو -اسماعيل- لحضور المعرض الدولي في باريس وصدرت الصحف الباريسية تبشر بوصول خديو مصر إلي عاصمة الإمبراطورية الفرنسية ولما كان هذا اللقب جديداً علي المسامع ، أقبل الناس يتساءلون : خديو ؟ ما هو الخديو ؟ - وكان اسماعيل قد ذهب إلي باريس وجيوبه ملأ بالبقود وخزائن المصارف بباريس ولندن تحت أمره وتصرفه ففتح يده بسخاء وبذخ لم يعهدهما العالم الغربي من عاهل من العواهل الذين زاروا المعرض فبات أحداثاً إعجاب الجميع - - ووقع في خلد العامة أن الخديو إنما هو أحد ملوك ألف ليلة وليلة بعث إلي الحياة ثانية وأنه خليفة الفراعين علي عرش القطرين أكبر ملك حلت قدماه أرض فرنسا ) ( ومن الأحداث التي وقعت خلال زيارة الخديو لباريس ، تلك القصة التي رواها الكونت دي لافيزون في مذكراته وهي أن أحد كبار النبلاء دعا الخديو اسماعيل إلي وليمه في قصره بضواحي باريس فأجاب الخديو دعوته وإذا به يري قصرًا بلغ من الجمال والجلال وفاخر الرياش ما لم يكن أحد يتوقع وجود مثله أبداً في حوزة غير الملوك فأعجب اسماعيل به أيما إعجاب وبعد تناول الغداء وبينما المحادثة دائرة في قاعة التدخين أبدي لمضيفه استحسانه العظيم لقصره فشكره النبيل علي تطفه وكان قد قيل لإسماعيل إن النبيل

في ضيق مالي شديد فأحب مساعدته بشكل لا يتحرج له إحساسه فسأله عما إذا كان يريد بيع قصره وكان الرجل علي شدة احتياجه إلي النقود لا يري في استطاعته التجرد من ملكية ذلك البناء الفخيم ، وتحرج أن يقابل لطف الخديو بخشونة الرفض فخطر له أن يبالغ في تقدير الثمن ليحمله علي العدول عن رغبته في المشتري ، فأجاب : إني قد أبيع يا مولاي مقابل خمسة ملايين من الفرنكات - ولم يكن القصر يساوي أكثر من مليون ونصف مليون فرنك ، ولكن اسماعيل التقط الكلمة من فم الرجل وهي طائفة وقال : إني اشتريته منك بهذا المبلغ وحرر له في الحال حوالة بثمنه علي أحد البنوك بباريس ولم يجد الرجل مفرأ من قبول البيع غير أن اسماعيل التفت فوجد فتاة هيفاء لا تتجاوز الخامسة عشر ربيعاً وعرف أنها ابنة النبيل فقال بابتسام جميل مخاطباً والدها : " علي أني لا أحسبك تمنع في تحرير عقد البيع للآنسة ابنتك هذه اللطيفة تخليداً لذكري استحسان خديو مصر ظرفها وآدابها ولكيلا يقال أني زرتك لأجرك من قصرك " )

فقال الأسطي فرغلي معلقاً علي القصة :

- أخلاق ملوك بصحيح

فرد المعلم سيد في عصبية :

- ملوك إيه ياراجل ، هو بيصرف من جيب أهله ، دي فلوس البلد اللي محتاجها أكثر من النبيل ده ،

- أنا بأتكلم عن التصرف نفسه وشياكته ،

فغضب المعلم سيد ودار نقاش ساخن عن تصرف الخديوي وهل ينال الاستحسان أم العتاب ، وهل من حق الخديوي أن يجعل البلد تستدين ليحل مشاكل أصدقاءه في أوروبا أم ليحل مشاكل شعبه ، ولم يتم حسم هذا النقاش إلا عندما هدهم الأستاذ بهجت بعدم قراءة أي موضوعات أخري إذا لم يكفوا عن التحدث بصوت عالي وبعد قليل انتهت الأمسية وغادر كل منهم إلي منزله

وفي صباح اليوم التالي جلست نهي في مكتبها حزينة جداً حتي أنها كادت أن تبكي ، بسبب عدم تعاون البعض معها في إجراء أعمال الربط بشبكة الشركة وكذلك في تجميع قاعدة البيانات ، لدرجة أن الأستاذ رأفت شخصياً عندما ذهبت لتشكو إليه ما تلاقيه ، قال لها :

- يا آنسة الناس بتقول إنها مش عارفة تشوف شغلها بسببك

وكانت هذه الجملة كافية لتصيبها بالحزن واشتاقت لحضور حشمت بك من سفره ، ولكنها تذكرت أن العمل بشكل تقليدي لن يجدي ، فقد نسيت نفسها وظنت أن تعاون الجميع معها

في البداية سيستمر للصالح العام ، فقررت أن تمارس دور كليوباترا مرة أخرى مع قادة روما ، وتستغل جمالها وسحر حديثها في التأثير علي مديري الأفرع والأقسام بالشركة ، كما أنها قررت أن تخفف من عملية جمع البيانات التفصيلية لكل شئ كما كانت تخطط ، واكتفت بموضوعات المتابعة المهمة التي لها تأثير علي سير العمل بالشركة ،

وكان موضوع سفر حشمت بك يثير العديد من التساؤلات بين الموظفين وانتشرت الشائعات بأنه مريض وسافر لإجراء فحوصات طبية بفرنسا ، وعندما علمت نهي بذلك ازداد حزنها وكادت أن تصاب بالإحباط ، وكان الأسطي فرغلي يحاول أن يخفف عنها ، فقال لها مرة :

- إيه رأيك يا أستاذة لو تيجي مرة تزوري الحتة بتاعتنا وتقابلي الأستاذ بهجت ده راجل عقله كبير أوي وممكن يساعدك في التفكير في أي مشكلة ، وكمان قرأ كتب بعدد شعر رأسه

- مش ده اللي كلمك عن شياشكو ؟

- أيوه بالظبط ، وأنا كلمته عن حضرتك كثير ، ومعجب بشخصيتك جداً

- خلاص مفيش مشكلة ، ممكن في مرة توصف لي المكان أو نتقابل ونروح سوا ، ده حتي أنا بجب الأحياء الشعبية العريقة جداً ، وياما قرئت عنها في الكتب والروايات ، ويبقي تغيير جو برضه

- يا سلام يا آنسة ده انت تنورينا والله

وفي المساء أخبر الأسطي فرغلي بما قاله للآنسة نهي للجميع علي المقهي فرحبوا جداً بالفكرة ، واشتاقوا لرؤيتها ، وخاصة الأستاذ بهجت ، ثم قال المعلم سيد :

- بالمناسبة الحلوة دي عايزين حدوته حلوة الليلة دي يا أستاذ

- تحبوا نقرأ عن إيه النهارده

فقال عم حسين :

- انت عندك حاجة مكتوبة عن نابليون ؟

- أيوه طبعاً دي الحملة الفرنسية علي مصر دي حدوته كبيرة وشيقة ، ده لما تقرأ اللي كتبه الجبرتي عنها تشوف العجب

فقال المعلم سيد :

- شوقتنا يا أستاذ قول لا أسكت الله لك حساً

- بس كلام الجبرتي صعب نفهمه اليومين دول ، لكن أكيد اللي مش حتفهموه من كلامه حتشعروا بمعناه ، ولو وقفنا عند كل كلمة نفسرها مش حنخلص النهاردة

- يا سيدي قول واللي نفهمه نفهمه واللي يقع مننا مش مشكلة ، بس فين نابليون من الكلام ده
- ما احنا نشوف الجبرتي اتكلم ازاى عن بداية الحملة الفرنسية وبعدين نقرأ منشور نابليون للشعب المصري ،
- ماشي يا أستاذ اتفضل
- وأخذ الأستاذ بهجت يقلب في دفتره كالعادة ثم رشف من فجان القهوة وبدأ في القراءة عن وصف الجبرتي لأول سنة من سنين الحملة الفرنسية علي مصر متحدثاً بأسلوب هادئ بطئ ، يقف عند نهاية كل جملة حتي يشعروا بمعاني الكلمات وجمالها قائلاً :
- ( ----- ) وهي أولي سني الملاحم العظيمة والحوادث الجسيمة ، والوقائع النازلة والنوازل الهائلة وتضاعف الشرور وترادف الأمور ، وتوالي المحن واختلال الزمن ، وانعكاس المطبوع وانقلاب الموضوع وتتابع الأهوال واختلاف الأحوال ، وفساد التدبير وحصول التدمير ، وعموم الخراب وتواتر الأسباب {وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ}
- وفي يوم الأحد العاشر من شهر محرم الحرام من هذه السنة "24 يونيو 1789م" وردت مكاتبات علي يد الساعة من ثغر الإسكندرية ومضمونها: أن في يوم الخميس ثامنه حضر إلي الثغر عشرة مراكب من مراكب الإنكليز ووقفت علي البعد بحيث يراها أهل الثغر وبعد قليل حضر خمسة عشر مركباً أيضاً فانتظر أهل الثغر ما يريدون وإذا بقاياق واصل من عندهم وفيه عشرة أنفار فوصلوا البر، واجتمعوا بكبار البلد والرئيس إذ ذاك فيها والمشار إليه بالإبرام والنقض، السيد محمد كريم الآتي ذكره، فكلموهم واستخبروهم عن غرضهم فأخبروا: أنهم إنكليز حضروا للتفتيش علي الفرنسيين لأنهم خرجوا بعمارة عظيمة يريدون جهة من الجهات ولا ندرى أين قصدهم فربما دهموكم فلا تقدرن علي دفعهم ولا تتمكنون من منعهم، فلم يقبل السيد محمد كريم منهم هذا القول وظن أنها مكيدة وجاوبهم بكلام خشن فقالت رسل الإنكليز: نحن نقف بمراكبنا في البحر محافظين علي الثغر لا نحتاج منكم إلا الإمداد بالماء والزاد بثمنه، فلم يجيبوهم لذلك وقالوا: هذه بلاد السلطان وليس للفرنسيين ولا لغيرهم عليها سبيل فذهبوا عنا، فعندها عادت رسل الإنكليز وأقلعوا في البحر ليمتاروا من غير الإسكندرية وليقضي الله أمراً كان مفعولاً )
- فقال المعلم سيد :
- يا سلام يا أستاذ يعني الإنجليز جم الأول قبل الفرنسيين ؟
- أيوه يا معلم ، أصل الإنجليز كانوا أيامها أقوى من الفرنسيين في البحر ، فكانوا أنفسهم تحصل المعركة في البحر علشان يدمروهم ويهزموهم

- بس طبعاً بعد ما مشي الإنجليز جم فرنساويين واحتلوا البلد
- بالظبط كده ، وأعجب حاجة في الموضوع الورقة اللي كتبها نابليون ووزعها علي المصريين أول ما جه ، لأنه كان عايز يضحك عليهم ويفهمهم إنه مسلم
- معقول الكلام ده ؟
- أيوه شوف منشور نابليون للشعب المصري مكتوب فيه إيه

وبدا الأستاذ بهجت في قراءة المنشور المكتوب في دفتره :

( بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله لا ولد له ولا شريك له في ملكه، من طرف فرنساوية المبني علي أساس الحرية والتسوية السر عسكر الكبير أمير الجيوش فرنساوية بونابرته يعرف أهالي مصر جميعاً أن من زمان مديد الصناجق الذين يتسلطون في البلاد المصرية، يتعاملون بالذل والاحتقار في حق الملة فرنساوية ويظلمون تجارها بأنواع الإيذاء والتعدي فحضر الآن ساعة عقوبتهم - - هذه الزمرة المماليك يفسدون في الإقليم الحسن الأحسن الذي لا يوجد في كرة الأرض كلها فأما رب العالمين القادر علي كل شئ فإنه قد حكم علي انقضاء دولتهم،

يا أيها المصريون قد قيل لكم إنني ما نزلت بهذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم فذلك كذب صريح فلا تصدقوه وقولوا للمفترين إنني ما قدمت إليكم إلا لأخلص حقكم من يد الظالمين وأنني أكثر من المماليك أعبد الله سبحانه وتعالى وأحترم نبيه والقرآن العظيم وقولوا أيضاً لهم : إن جميع الناس متساوون عند الله وأن الشئ الذي يفرقهم عن بعضهم هو العقل والفضائل والعلوم فقط وبين المماليك والعقل والفضائل تضارب ماذا يميزهم عن غيرهم حتي يستوجبوا أن يمتلكوا مصر وحدهم ويختصوا بكل شئ أحسن فيها من الجوازي الحسان والخيل العتاق والمسكن المفرحة فإن كانت الأرض المصرية التزاماً للمماليك فليرونا الحجة التي كتبها الله لهم

ولكن رب العالمين رءوف وعادل وحليم ولكن بعونه تعالي من الآن فصاعداً لا ييأس أحد من أهالي مصر عن الدخول في المناصب السامية وعن اكتساب المراتب العالية فالعلماء والفضلاء والعقلاء بينهم سيدبرون الأمور وبذلك يصلح حال الأمة كلها وسابقاً كان في الأراضي المصرية المدن العظيمة والخلجان الواسعة والمتجر المتكاثر وما أزال ذلك كله إلا الظلم والطمع من المماليك ،

أيها المشايخ والقضاة والأئمة وأعيان البلد قولوا لأمتكم إن فرنساوية هم أيضاً مسلمون مخلصون وإثبات ذلك أنهم قد نزلوا في رومية الكبرى وخرّبوا فيها كرسي البابا الذي كان دائماً

يحث النصارى علي محاربة الإسلام - - ومع ذلك الفرنسية في كل وقت من الأوقات صاروا محبين مخلصين لحضرة السلطان العثماني وأعداء أعدائه أدام الله ملكه - -  
طوبي ثم طوبي لأهالي مصر الذين يتفوقون معنا بلا تأخير فيصلح حالهم وتعلي مراتبهم طوبي أيضاً للذين يقعدون في مساكنهم غير مائلين لأحد من الفريقين المتحاربين  
ولكن الويل ثم الويل للذين يعتمدون علي المماليك في محاربتنا فلا يجدون بعد ذلك طريقاً إلي الخلاص ولا يبقى منهم أثر -

المادة الأولى : جميع القرى الواقعة في دائرة قريبة بثلاث ساعات عن المواضع التي يمر بها عسكر الفرنسية فواجب عليها أن ترسل لسر عسكر من عندها وكلاء كيما يعرف المشار إليه أنهم أطاعوا وأنهم نصبوا علم الفرنسية الذي هو أبيض وكحلي وأحمر ،  
المادة الثانية : كل قرية تقوم علي العسكر الفرنسي تحرق بالنار )

- والناس صدقت الكلام ده  
- لأ طبعاً بس انت عارف يا معلم إن القوة هي اللي بتتكلم ، ومفيش حد يقدر عليها ولما الأقوياء بيتحركوا الضعفاء بيرصدوا تحركاتهم ولما الأقوياء بيتكلموا الضعفاء بيحللوا كلامهم ، لكن لو واحد ضعيف اتحرك أو اتكلم مفيش حد يهتم بللي بيقوله ، والأقوياء هم الذين يضعون القانون ، فإذا خالفتهم فأنت تخالف القانون  
فقال عم حسين :

- والمماليك اتصرفوا إزاي مع نابليون ؟  
- المماليك كانوا عايشين في دنيا تانية خالص والزمن كان وقف بيهم ومش عارفين التطور اللي حصل في جيوش العالم كله ، لدرجة تخيل يا عم حسين إن في بداية المعركة طلع واحد منهم بيطلب حد من الفرنسية يبارزه بالسيف  
- يا خبر أبيض يا أستاذ ، دول باين عليهم كانوا متخلفين أوي ولسه عايشين في الماضي  
- بس الحقيقة كان عندهم شجاعة كبيرة جداً في المعركة وكان جهلهم سبب في اللي حصلهم

فقال المعلم سيد :

- في عند حضرتك حاجة مكتوبة في الدفتر عن المعركة دي ؟  
- أيوه طبعاً  
- وقام الأستاذ بهجت بتقليب صفحات الدفتر حتي عثر علي تفاصيل عجيبة عن المعركة التي دارت بين المماليك والفرنسيين والتي كتبها أثناء قراءته للكتاب الخامس

من سلسلة كتب -صفحات من تاريخ مصر- وهو بعنوان تاريخ مصر من عهد المماليك إلي نهاية حكم اسماعيل - تأليف المستر جورج يانج - تعريب : علي أحمد شكري ، وكان افضل ما يميز دفتر الأستاذ بهجت هو توثيقه لكل معلومة بدقة حيث كان يكتب بجوار كل معلومة مصدرها بوضوح ثم بدأ الأستاذ في قراءة ما كتبه عن هذا الموضوع في دفتره قائلاً :

يؤكد المؤرخ جورج يانج في هذا الكتاب أن فن المماليك العسكري قد صار عتيقاً ويقول : وقد شعر بالعطف علي ما أظهره المماليك من الإقدام والبسالة عند مهاجمتهم لنايليون ، وقد رأي نايليون أن احتلال مصر عسكرياً لن يكلفه متاعب كبيرة لأن الجيش الفرنسي وعدده حوالي 40000 زحف بطريق الصحراء بشكل مربع مجوف علي القاهرة وكان -علماء الحملة- رسل المدنية الحديثة المائة والاثنتان والعشرون في قلب الجيش بينما جيش المماليك في عرض الأفق ، ووقف المماليك يرمقون العدو بنظرة الاحتقار والإزدراء

وأخيراً برز أحدهم ظاناً أن عصر الفروسية ما يزال باقياً وقد لبس عدة الحرب الكاملة المطرزة بالحرير وتقدم إلي الفرنسيين حتي صار علي بضع خطوات منهم ، وهناك طلب مبارزة الكولونيل ، ولكن الفرنسيين وقد أضناهم الحر والجوع والعطش - أجابوا علي طلب المبارزة بإطلاق الرصاص من بنادقهم فتركوا صاحبنا نصير الفروسية مجرد سلب ملطخ بالدماء وما كانت معركة الأهرام التي نشبت علي أثر ذلك وحاول فيها المماليك منع دخول الفرنسيين إلي القاهرة سوي تكرر لهذا الحادث ولكن علي مقياس أكبر

فقد اشترك فيها نحو 10000 من فرسان المماليك وبضعة آلاف من المشاه الإنكشارية وعدد من المقاتلين المصريين ولكن كان نصيبهم جميعاً الهزيمة ثم الغرق في مياه النيل ، هذا في حين أن خسائر الفرنسيين لم تتجاوز المائة ، علي أن بكوات المماليك لم يجيدوا الكر والفر فقط بل كثيراً ما اقتحموا مربعات القادة الفرنسيين - ديزيه ورينييه ولكن هذا الاستبسال كانت نتيجته الفناء الأكيد وجدير بالذكر أن هذه المعركة المعروفة باسم معركة الأهرام أو معركة إمبابة تمت في يوم 21 يوليو سنة 1798 نزل الفرنسيون علي بعد ميلين من إمبابة فكانوا بين النيل والأهرام وإمبابة أمامهم ، وفيها مراد بك وجنوده وهم بدروعهم البراقة وملابسهم الزاهية ، فلما رأي بونايرت حسن استعدادهم التفت إلي جنوده وقال جملته المأثورة :

اعلموا أن خمسين قرناً تنظر إليكم من قمم هذه الأهرامات وتراقب حركاتكم تنظر ما سيصبح عليه أمركم مع هؤلاء المماليك - - ثم أمر فرقة الجنرال ديزيه بالتقدم نحو اليمين والفرق الأخرى نحو اليسار - - ولكن مراد بك أدرك سر هذه المناورة فأمر أيوب بك بالدفترار بالهجوم ، فهجم أيوب بك وهو يصيح : ويل لكم أيها الملاعين ، قد ساقكم كبرياؤكم إلي

أرضنا - - - - - إننا سنملاً القبور بأجسادكم ونجعل هذا اليوم يوماً تذكره أعقابكم من بعدكم - - -  
 - - - - - ودارت المعركة إلي أن تقهر الممالك وقتل أيوب بك وفر مراد بك إلي الصعيد واستولي  
 بونابرت علي إمبابة

وما إن انتهى الأستاذ بهجت من القراءة حتي تعجب الجميع كالعادة ودار نقاش بينهم وجدال  
 ما بين متعاطف وحانق ، وبعد قليل انتهت الأمسية وغادر كل منهم إلي منزله  
 ونترك المقهي وهذا الحي الشعبي بل نترك مصر كلها ونذهب إلي فرنسا لنعرف ما يحدث  
 لحشمت بك هناك ، حيث أكد الاطباء بعد إجراء عملية جراحية له علي ضرورة أن يلتزم  
 بالراحة التامة وعدم إرهاق نفسه في العمل ، كما يجب الابتعاد عن مصادر التوتر والقلق حتي  
 يحتفظ بصحته في حالة جيدة ، واستأذنهم في العودة إلي مصر فوافقوا علي أن يلتزم بهذه  
 الشروط

وكان حشمت بك في حالة قلق شديد علي مصير أعماله وشركاته التي أفني عمره في  
 تأسيسها وبذل مجهود ضخم ليحافظ عليها ، وكان كلما تابع أحوال ابنه سامر ازداد قلقه ،  
 وبمجرد عودته للقاهرة استقبله الأستاذ رأفت الذي كان في قمة القلق عليه ، بل إن خبر  
 الفحوصات الطبية عندما انتشر في الشركة جعل الكثيرون يتحدثون في قلق بالغ عن مصير  
 الشركة ، لأن مصيرهم مرتبط بها ، فكل شركة ناجحة لا تصب في مصلحة مالكها فقط ، فكم  
 من البيوت مفتوحة بسببها ، وبالتالي فمستقبلهم مرتبط بمستقبل الشركة  
 ودار حوار حزين بين حشمت بك والأستاذ رأفت بدأه حشمت بك قائلاً :

- تفكر يا رأفت إيه اللي يحصل للشركة والموظفين والعمال لو حصل لي حاجة ؟
  - بعد الشر عليك يا حشمت بك ، وبعدين العملية الجراحية نجحت والحمد لله ومبقاش  
 في خوف من حاجة علي صحة سعادتك
  - أيوه بس انت عارف الدكاترة قالوا لي إيه بالنسبة للتوتر والقلق
  - مفيش حاجة تقلق والأمور ماشية زي الفل
  - طيب وسامر يا رأفت
  - ماله ؟
  - نفسي اطمئن عليه
  - أنا شايف إن الحل في إنه يتجوز بصراحة لأن الجواز حيليه يستقر ويبقي مسئول  
 عن زوجة وأولاد
  - بس مين ممكن يتجوزها يا رأفت من وجهة نظرك
- ففكر الأستاذ رأفت قليلاً ثم تذكر فجأة الأنسة نهي فقال :

- إيه رأي حضرتك في نهى بنت خورشيد بك ؟
- نهى ، هي أخبارها إيه صحيح ؟
- عمالة تحسب كام فرخة باضت في المزرعة وجابت كام بيضة
- ه ه ه خليها تتسلي ، والموظفين عاملين معاها إيه ؟
- الآراء مختلفة
- مفيش حاجة اسمها آراء عند المصريين لأن أهم ميزة بتميزهم أنهم شعب عاطفي إلي أبعد الحدود ، فما ينفعش تسأل المصري عن رأيه في أي موضوع أو في أي شخص لكن ممكن تسأله عن مشاعره تجاه موضوع معين أو شخص معين ، لأن المصري لا يؤيد ولا يعارض ولكنه بيحب ويكره فإذا أحب نسي أو تناسي أي إساءة ممن يحب ، يعني العاطفة ممكن تكون مشكلة كبيرة جداً في المجتمع لأنها ممكن تحط شخص في غير مكانه الصحيح وممكن تشيل برضه شخص من المكان اللي بيناسبه يعني مفيش مكان للقياس المنطقي لأن المشاعر بس هي اللي بتتحكم وتأمر وبدون مبالغة ممكن نقول أن العاطفة ممكن تطيح برضه بالفطرة السوية
- كان الأستاذ رأفت يستمع باهتمام لكلام حشمت بك ويقارنه بوضع الأتسة نهى بين الموظفين ثم قال :
- في الحقيقة لو سبينا موضوع الآراء وركزنا علي المشاعر بس حنلاقي إن في ناس كتير في الشركة بتحب الأتسة نهى وخصوصاً الرجالة ، وناس كتير بتكرهها وأكثرهم من الستات وخصوصاً الأتسات اللي في سنها
- عموماً أنا فعلاً جه في بالي موضوع جواز سامر وفكرت في نهى فعلاً ، لكن إيه اللي يضمن لك إنها توافق وإن أبوها يوافق وإن سامر نفسه يوافق ؟
- بالنسبة لأبوها أنا متأكد إنه حيوافق لأن مصالحه مرتبطة بمصالح شركتنا بنسبة كبيرة وحيكون بالنسبة له جواز مصلحة ، وبالنسبة لسامر برضه حيوافق لأنه معجب بيها جداً علي ما فهمت من المهندس كمال ، لكن بالنسبة لها هي مش عارف في الحقيقة
- عموماً أنا ممكن أعرض عليها الموضوع بنفسني
- كانت نهى في ذلك الوقت تجلس في مكتبها وهي حزينة بسبب معوقات العمل والروتين السخيف بالنسبة لها ، وأخذت تفكر في ما كتبه الدكتور جمال حمدان في كتابه الممتع شخصية مصر ، وكيف وصف البيروقراطية المصرية القديمة ، ثم أخرجت التابلت الخاص بها ، وأخذت تبحث عن ما كتبه د جمال حمدان عن هذا الموضوع ، إنها متأكدة أنها قرأت هذا المعني من قبل ، وأخذت تسأل نفسها

لماذا يعتمد المصريون دائماً علي توجيهات تأتي من أعلي ؟  
لماذا يجب أن يعمل المصريون تحت ضغط سلطة مركزية يخضع لها الجميع ؟  
لماذا لا يعملون بشكل تلقائي وبدون مبادرات ، ولماذا دائماً لابد أن تأتي المبادرة من أعلي  
ومن شخص واحد عادةً ترنو إليه الأبصار وتتعلق به الآمال ؟  
إنها تذكر أن د جمال حمدان قد وجد تفسيراً لكل هذا وربطه بوجود زراعة تعتمد علي ماء  
النهر وليس علي ماء الأمطار ،  
وأخذت تقلب بين الصفحات إلي أن عثرت علي ضالتها وبدأت تقرأ ما كتبه د جمال حمدان  
وتأمله وتفكر فيه بعمق :

---  
الحقيقة الكبرى في كيان مصر هي أنها بيئة فيضية ، لا تعتمد علي المطر في  
حياتها ، وإنما علي ماء النهر ، وقوامها هو زراعة الري - - ومن هنا بالدقة يبدأ كل الفرق  
في حياة المجتمع النهري وطبيعته ،  
ففي البلاد التي تعيش علي الأمطار مباشرةً يختزل المجهود البشري إلي حده الأدنى ، فبعد  
قليل من إعداد الأرض والبذر ، يتوقف العمل أو يكاد حتي الحصاد ، وبين هذا وذاك فليس  
هناك من يحفر الترع والمصارف أو يقيم الجسور والسدود وأهم من هذا كله أن ليس هناك من  
يمكنه أن يحبس عنك المطر أو أن يتحكم في توزيعه ،  
من هنا فقد تكون الطبيعة سيدة الفلاح ولكن الفلاح بعد ذلك سيد نفسه  
أما في بيئة الري فالأمر مختلف كل الاختلاف - - لابد من مجهود بشري ضخم أي لابد من  
شبكة غطائية كثيفة من الترع من كل مقياس ابتداء من قنوات الحمل وقنوات التغذية إلي  
مساقي الحقول حتي تزرع

ثم ما جدوي تلك الشبكة إذا لم تسيطر علي أعناقها ورءوسها بالنواظم والقناطر والسدود ؟  
أعني أي جدوي فيها بغير ضبط النهر ؟

وأكثر من هذا ما جدوي الجميع بغير ضبط الناس ؟ - - إن زراعة الري إذا تركت بلا ضابط  
يمكن أن تضيع مصالح الناس المائية في مواجهة بعضها البعض مواجهة متعارضة دموية ،  
ذلك أن كل من يقيم علي أعلي الماء يستطيع أن يسيئ استعماله إما بالإسراف أو بحبسه  
تماماً عن من يقع أسفله أي أن كل حوض علوي يستطيع أن يتحكم في حياة أو موت كل حوض  
سفلي وكل من يقع علي أفواه الترع يستطيع أن يهدد حقوق المياه لمن يقع علي نهايات  
الترع ، كذلك يمكن للمحاباة والتحيز أن تسخو بالماء لمن تريد وتقبضه عن تريد  
المحصلة إذن واضحة : بغير ضبط النهر يتحول النيل النيل إلي شلال محطم جارف ، وبغير  
ضبط الناس يتحول توزيع الماء إلي عملية دموية ويسيطر علي الحقول قانون الغاب والأدغال

في ظل هذا الإطار الطبيعي يصبح التنظيم الاجتماعي شرطاً أساسياً للحياة ويتحتم علي الجميع أن يتنازل طواعية عن كثير من حريته ليخضع لسلطة عامة أعلى توزع العدل والماء بين الجميع ، سلطة عامة أقوى بكثير مما يمكن أن تتطلبه بيئة لا تعتمد علي نهر فيضي في حياتها

وبذلك لا تكون الطبيعة وحدها سيدة الفلاح ،

وإنما بين الاثنين يضيف الري سيداً آخر هو الحاكم

فإذا ما التفتنا إلي مصر القديمة بصورتها الفرعونية فستجابهنا هذه الملامح ، ملامح المجتمع الهيدرولوجي إلي حد نادر المثال ، فقد عد فرعون ضلعاً أساسياً في مثلث الإنتاج إلي جانب الضلعين الطبيعيين الماء والشمس هذا عن الحكومة أما عن المجتمع فهو أساساً مجتمع تعاوني منظم - - وهنا نجد في القرية المصرية في صميم تركيبها وسيكولوجيتها وزراعتها قدراً كبيراً متوطناً ومتأصلاً من التعاونية والمشاركة التلقائية ، فهي خلية بشرية متلاصقة متلاحمة

هكذا عبر د جمال حمدان عن السيد الآخر الذي أضافه الري ليخضع له الجميع ،

ثم فتحت كتاب اسمه القاهرة وبحثت أيضاً عن هذا المعني المرتبط بالبيروقراطية القديمة وهي تعرف جيداً أن هذا المعني موجود بهذا الكتاب لأنها سبق أن قرأته فيه ، ثم وجدته أخيراً حيث يقول د جمال حمدان :

( --- فالبيئة كما رأينا فيضية ، والمجتمع مجتمع هيدرولوجي ،

ولهذا أصبح الري مرادفاً للتنظيم ، والتنظيم المركزي ، الذي يخضع فيه الجميع طواعية لسلطة عامة مطلقة .

وإن كان هذا من أقوى عوامل ظهور الوحدة السياسية المبكرة في مصر ،

كما أنه علم الشعب "أن" النظام أساس الحضارة ،

إلا أن هذا أيضاً بدأ دور الحكومة الطاعية وأرسي نواة الموظفين الثقيلة ، وأصبحت البيروقراطية المركزية عنصراً أصيلاً في مركب الحضارة المصرية ، بل ثقلاً عنيداً في موكبها . أصبحت مصر مجتمعاً حكومياً كما نقول ، فالحكومة وحدها هي التي تملك زمام المبادرة وإمكانيات العمل ، العمل الكبير علي أية حال ،

وقد كان لهذا قيمته في بعض المراحل - - ، ولو أنه ربما خلق في جميعها شيئاً من روح

التواكل والتكاسل والسلبية وخنق ملكات المبادأة وحوافز التلقائية في السكان ،

وهنا ، مرة أخرى ، نجد أن الحكومة المركزية الأولى في التاريخ ليست ميزة صافية بلا شوائب

ولا كانت مكسباً بلا ثمن ،

والذي يتعمق تاريخ مصر الاجتماعي ستروعه ولا شك تلك البيروقراطية العاتية التي تمتد علي طوله بغير انقطاع ، حتي لتشكل نغمة دالة عليه وملحماً أساسياً آخر من ملامحه ، فالبيروقراطية في مصر قديمة قدم الحضارة الفرعونية ، مع الأهرام تبدأ ، وفيها تتلخص ، -- - ويكفي بعدها أن نري صور كبار الموظفين علي النقوش والآثار القديمة وأن نعرف أخبارهم المتواترة في البرديات والسجلات العديدة حتي ندرك خطورة الدور الذي لعبته الهيئة البيروقراطية في القديم ، بل إن شئت رمزاً بليغاً

ففي النحت تجده ابتداء من تمثال الكاتب حتي تمثال شيخ البلد

فهذه جميعاً نصب تذكارية وتاريخ محفوظة أو محفور للبيروقراطية الفرعونية الثقيلة ووسط شرود نهى وتفكيرها العميق أثناء القراءة سمعت من يقول لها :

- اللي واخذ عقلك

فالتفتت فوجدت زميلتها رشا التي تشاركها العمل بقسم المعلومات والمتابعة فردت عليها

- الدكتور جمال حمدان

- مين ؟

كانت رشا من فتيات المجتمع الراقي ومن ذلك النوع الذي يهتم بالموضة والسهرات والرحلات وباقي الاهتمامات الأخرى التي من هذا النوع وكانت لا تحب القراءة سواء الكتب المطبوعة أو الكتب الالكترونية ، فهي لا تعرف من هو د جمال حمدان ، فردت نهى قائلة :

- سيبك من الموضوع ده وقولي لي ، مفيش أخبار عن ربط المصنع بالشبكة لغاية دلوقتي ؟

- في شوية مشاكل فنية بس في طريقها للحل

- مشاكل فنية بس ولا معوقات من إياها ؟

- لا ما تقلقيش لأن المهندس سامر مهتم جداً بالموضوع وكمان المهندس كمال

- بالمناسبة انت إيه رأيك في المهندس سامر ؟

- مش عارفه ليه ما يستظرفوش خالص

- يا بنتي أنا بأسألك عن رأيك مش مشاعرك

- مفيش فرق بين الاثنين

وقطع هذا الحوار تليفون نهى من سكرتارية حشمت بك يطلب منها الحضور لمكتبه وكان حشمت بك قد أجري مكالمة هاتفية مع ابنه سامر ليعرف رأيه من حيث المبدأ في موضوع الارتباط بنهي ، وفوجئ حشمت بك بترحيب شديد بل مبالغ فيه من ابنه مما جعله يسرع باستدعاء نهى لعرض الموضوع عليها وكما يقال خير البر عاجله

شعرت نهي بقلق شديد من لقاء حشمت بك فقد كانت تقاريرها اليومية التي اعتاد عليها قد توقفت منذ سفره ، وحاولت أن تفكر بسرعة ألف فكرة في الدقيقة كي تستنتج الغرض من هذا اللقاء ثم قررت أن تؤجل القلق حتي تعرف الموضوع حتي لا تصاب بالتوتر ، وإلا أصبحت مثل بطل القصة الطريفة التي تعرفها جيداً والتي عندما تذكرتها ابتسمت ، وهذه القصة المغزى منها هو عدم استعجال الحكم علي الأمور وتركها تمضي حتي تتضح وحدها وإلا قد يؤدي الحكم المسبق إلي نتائج سيئة ،

والقصة تتحدث عن شخص كان يقود سيارته علي أحد الطرق الصحراوية ، وكان هناك عيب في محرك سيارته يؤدي إلي ارتفاع الحرارة بشكل ملحوظ ، وكان يحمل معه كميات كبيرة من المياه حتي يقوم بعملية التبريد مع وقوفه المتكرر ، وفي أحد مرات توقفه وجد أنه استهلك آخر كمية مياه في حوزته ، وتصادف وجود منزل صغير علي مسافة بعيدة نسبياً من الطريق فتعجب من وجود مثل هذا المبني في هذه الصحراء ولكنه علي أي حال حمل معه بعض الزجاجات الفارغة وقرر التوجه إلي هذا المنزل ليتزود بالمياه ولكنه أثناء سيره في اتجاه المنزل تخيل حواراً لم يحدث بعد بينه وبين الشخص الموجود في المنزل :

- أيوه يا أستاذ أي خدمة ؟
- في الحقيقة أنا محتاج مياه لتبريد العربية
- مالها العربية ؟
- معلش أصلها بتسخن كل شوية
- يعني حضرتك عايز تفهمني انك مسافر علي طريق صحراوي بعربية تعبانة وبتسخن ومفيش معاك مياه
- لأ طبعاً كان معايا مياه كتير بس خلصت
- يبقي انت ما قدرتش الموضوع صح
- يعني انت ناوي تديني مياه ولا لأ ؟
- أكيد طبعاً بس أفهم الموضوع الأول
- يا سيدي تفهم ولا ما تفهمش أنا عايز مياه ولو مفيش قول وخلصني
- عندي مياه طبعاً بس لازم أوضح لك الخطأ ده علشان ما يتكرر معاك
- يعني انت ناوي تديني درس
- لو محتاج طبعاً ادليك درس

وظل الحوار الذي لم يتم بعد يتصاعد في حدته ويزيد من عصبية الرجل رغم أن كل هذا في خياله فقط ، طول الطريق ، ثم وصل إلي باب المنزل وهو في قمة الانفعال وطرق الباب ففتح له شخص وقال :

- أيوه يا أستاذ أي خدمة ؟

- مش عايز من وشك حاجة

تذكرت نهى هذه القصة الطريفة وابتسمت وهي في طريقها إلي مكتب حشمت بك وقالت في نفسها أنها لو فكرت تفكير سلبي مثل بطل القصة ستطلب من حشمت بك أن يقبل استقالته فوراً بمجرد دخولها إلي مكتبه

ووصلت نهى بالفعل إلي مكتب حشمت بك وقام باستقبالها والترحيب بها بحرارة واطمئن منها علي صحة والدها ثم قال :

- أنا عارف يا بنتي إنك ذكية جداً علشان كده أنا عايز أدخل في الموضوع علي طول من غير لف ودوران بس عايزك توعديني إنك تفكري في اللي حقوله كويس قبل ما تردي لأن الموضوع اللي حقوله محتاج تفكير كثير ممكن ياخذ أيام

- موضوع إيه ؟

- أنا كنت عايز أكلم والدك علشان أحدد ميعاد معاه علشان أطلب إيدك لابني سامر بس قلت آخذ رأيك الأول ، لكن فكري براحتك وخدي وقتك علي الآخر ، يعني مش عايز منك رد دلوقتي خالص

كانت نهى تتوقع من حشمت بك أن يكلمها بخصوص العمل ولم تكن تتوقع أبداً أن يفتح مثل هذا الموضوع معها لذلك كانت مفاجأة ، ولم تكن بالفعل تدري ماذا تقول وبدا عليها الارتباك ، وشعر حشمت بك بذلك فخفف عنها ما هي فيه وطلب منها الانصراف حتي تستعيد توازنها النفسي ، وبالفعل غادرت مكتبه وهي في ذهول

وفي المساء جلست مع والدتها لتحدثها عن ما حدث ، فقالت لها أن القرار في مثل هذه الأمور قرارها هي لأنه مستقبلها وهي أدري الناس به ، فزادت من حيرتها وذهبت إلي غرفتها ولم تتمكن من النوم بسهولة ،

الطريف أنها كانت علي وشك أن تستخدم جمالها لتتمكن من تنفيذ ما تخططه ، فإذا بها ستسيطر علي الشركة بالكامل ، ولكن هل تستطيع أن تتعايش مع شخص مثل سامر ، وهل يمكن أن تتحمل ما يقوم به من تصرفات غير مسئولة واهتمامات تافهة فهو شخصية ليست علي مستوي طموحها ، ولم يكن أبداً فتى أحلامها بمثل هذا الشكل والمضمون ،

ونترك نهى في حيرتها ونذهب إلي مقهي المعلم سيد حيث كان يجلس مع الصحبة اليومية يستمعون إلي الأستاذ بهجت الذي يستغنون به عن الراديو والتليفزيون ، وكان الحديث قد بدأه الأسطي فرغلي عن مرض حشمت بك وتلقيه العلاج بالخارج ، فعلق الأستاذ بهجت قائلاً

- انتم عارفين يا جماعة إن أيام ابن طولون كان المرضي بيتعالجوا ببلاش وكان ممنوع المريض يخرج من المستشفى إلا إذا أكل فرخة ورغيف عيش لوحده

فتعجب الجميع مما قاله الأستاذ وسأله المعلم سيد :

- عندك في الدفتر مكتوب الكلام ده ؟

- أيوه طبعاً

- مش ده قريب قطر الندي العروسة ؟

- أيوه يبقي جدھا ، لأن أبوها خمارويه ابن احمد ابن طولون

وكعادته أخذ يقلب في صفحات الدفتر حتي وجد المكتوب عن ابن طولون ثم قال :

- اسمع يا سيدي المكتوب عن الراجل ده في الدفتر

وبدأ القراءة : ( قال المقريري المؤرخ الشهير ) عن أحمد بن طولون ما يلي :

( وكان قد نشأ نشوءاً جميلاً وطلب الحديث وأحب الغزو وخرج إلي طرسوس مرات ولقي شيوخ المحدثين وسمع عنهم ، وكتب العلم وحصل من ذلك قطعة كبيرة ، وصحب هناك جماعة من الزهاد وأهل الدين والورع فتأدب بآدابهم وحسنت طريقته وظهر فضله ، حتى تمكن له في قلوب الأولياء ، ما ارتفع به علي طبقته وبان فضله علي وجوه الأتراك وصار عندهم ممن يوثق به - - )

واكتسب ابن طولون في مصر حب الجميع علي اختلاف دياناتهم ومذاهبهم المختلفة فقد كان كما يقول عنه ابن الأثير "عاقلاً حازماً ، كثير المعروف والصدقة متديناً يحب العلماء وأهل الدين، وعمل كثيراً من أعمال البر ومصالح المسلمين "

ومن المواقف التاريخية عن أحمد ابن طولون التي تؤكد مدي حب الجميع له في مصر ، عندما مرض مرضاً شديداً في آخر أيامه ( - - خرج المسلمون بالمصاحف واليهود بالتوراة والنصارى بالإنجيل والمعلمون بالصبيان إلي الصحراء ودعوا له - - ) مما يؤكد أن الستة عشر عاماً التي قضاها ابن طولون في حكم مصر حتي وفاته بها كانت من أحسن الأعوام التي عاشها المصريون في ذلك الوقت

- يا سلام ، ده أنا أول مرة اسمع الكلام ده ، كمل يا أستاذ

فاستمر الأستاذ بهجت في القراءة من الدفتر وقال

ولقد كانت الفسطاط عاصمة مصر منذ الفتح العربي الإسلامي وحتى تأسيس مدينة العسكر التي اتخذها العباسيون عاصمة لمصر ، ثم جاء احمد بن طولون وأسس عاصمة جديدة لدولته الجديدة وكانت معروفة باسم القطائع لأنها مقسمة بين الجنود ،

ويقول د جمال الدين الشيال عن القطائع ( - - لما ولي أحمد بن طولون علي مصر ، اتخذ لنفسه جيشاً كبيراً كان معظمه من السودانيين والروم والأتراك فضاقت بهم الفسطاط والعسكر فأراد أن يبني لهم عاصمة جديدة وبنها في الفضاء الذي كان بين العسكر وبين جبل المقطم - - وبني فيها قصره العظيم وشيد جامعه المعروف باسمه - وجعل بين القصر والمسجد ميداناً كبيراً لسباق الخيل وعرض الجند - )

وقد تم بناء القطائع وما بها من منشآت علي طراز مدينة سامراء التي بناها العباسيون في العراق ، حتي أن مئذنة الجامع الشهير الموجود إلي الآن تشبه مئذنة جامع مدينة سامراء ، وكان بالقطائع العديد من الأسواق والمساجد والطواحين والحمامات والأفران والقصور ( - - وتزايدت العمارة حتي اتصلت بالفسطاط وصار كل بلداً واحداً - )،

أي أن الفسطاط والعسكر والقطائع حدث بينهم اندماج وأصبحوا كما لو كانوا مدينة واحدة كبيرة وعامرة وظلت القطائع عاصمة للدولة الطولونية إلي أن تم اقتحامها بواسطة الجيش العباسي عندما انهارت الدولة الطولونية سنة 904 م وعادت للفسطاط مكانتها ومركزها كعاصمة لمصر للولاة العباسيين ،

ويقول عن القطائع الكاتب الكبير محمود السعدني في كتابه الممتع " مصر من تاني " ( - ولقد كانت عاصمته الجديدة القطائع غاية في الفن الهندسي أنفق علي إنشائها كل ما غنمته جيوشه المظفرة في الشرق والغرب وكانت دورها واسعة وحدائقها أوسع - - ، ولما كانت القطائع تقع علي قمة تل يتوسط النيل والصحراء الشرقية فقد أقام لها قناطر شديدة الارتفاع ورفع الماء إليها عن طريق سواقي في المكان المعروف الآن بغم الخليج )

- أمال فين موضوع الفرخة يا أستاذ ؟

- اصبر يا معلم جاي دلوقتي

وأكمل القراءة

( - وقد أجمعت المصادر علي اهتمام الطولونيين بتقدم أحوال مصر الاقتصادية وازدهارها ويدل علي ذلك وفرة الثروات التي خلفها الطولونيين ورخص الأسعار وتوفر السلع في سائر أنحاء مصر بصورة لم تشهدا من قبل - - )

كما أن أحمد بن طولون كان يهتم بشكل خاص بصحة المواطنين حيث قام ببناء مستشفى كبير مجاني وألحق به صيدلية لصرف الأدوية مجاناً أيضاً دون تمييز بين الطبقات والأديان

( - - ) ويظل المريض تحت العلاج حتي يتم شفاؤه وكانت دلالة شفاء المريض قدرته علي أكل رغيف ودجاجة وعندئذ يسمح له بمغادرة المستشفى وكان ابن طولون يتفقد المستشفى ويتابع علاج الأطباء ويشرف علي المرضى ( - ) ، كما اهتم ابن طولون بالجيش الضخم الذي كان يسيطر عليه سيطرة كاملة وكان لديه أسطول محترم وأنشأ مراكب حربية متقنة الصنع ، كما حدثت طفرة صناعية في مصر في هذا العصر وخاصة صناعة النسيج والزجاج والورق والأسلحة والصابون والسكر وقام ابن طولون ببناء دار لسك العملة ( - - ) حيث سكت الدنانير ذات المستوى الرفيع في النقاء ( - - ) وشهدت مصر في عهده نهضة تجارية عظيمة ( - - ) فكانت البضائع التي تصل من بلاد الهند والصين تسلك طريق البحر الأحمر ومنها إلي مواني إيطاليا وفرنسا وأسبانيا ( - - ) ،

كما كان في مصر في هذا العهد أيضاً العديد من العلماء والفقهاء والمؤرخين والأدباء والشعراء نبغوا في عهد الدولة الطولونية وغاية القول في هذا الموضوع أن مصر في هذا العهد شهدت فترة ازدهار في جميع المجالات وشاركت في النهضة الحضارية ( التي شهدها العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري - - ) وقد قام ابن طولون بتوسيع نطاق حكمه وضم إلي مصر ليبيا والشام والنوبة وشعر الناس بالرفاهية والرخاء في عهده وتفوقت مصر مادياً ومعنوياً علي باقي أنحاء الأمة الإسلامية ثم توقف الأستاذ بهجت عن القراءة منوهاً إلي أن هذه المعلومات وردت بكتاب اسمه مصر في العصور الوسطي لدكتور اسمه محمود الحويري فقال الأسطي فرغلي :

- يعني ابن طولون ده كان راجل محترم ؟
- أيوه يا أسطي فرغلي كان راجل محترم ومن مؤسسي الدول
- أمال مين اللي بيقولوا عليه كان عبد اسود حكم مصر ؟
- قصدك كافور الإخشيدي ، ده برضه كان راجل محترم لأنني كاتب عنه كلام كثير من كتب التاريخ في الدفتر بتاعي وكان له قصة طريفة مع المتنبي الشاعر المشهور
- طب ما تقرأ لنا حاجة عنه يا أستاذ
- لأ كفاية كده الليلة دي عايزين نروح ننام
- وانصرفوا علي وعد من الأستاذ بهجت أن يروي لهم قصة كافور مع المتنبي في الأمسية القادمة

وفي صباح اليوم التالي لم تستيقظ نهني في ميعادها ، ربما بسبب عدم حصولها علي قدر مناسب من النوم ، كما أنها كانت تشعر بإرهاق وتعب بسبب الأرق الذي صاحبها طول الليل

، فقد كانت في حيرة شديدة بين التضحية بحياتها الخاصة في مقابل تحقيق ذاتها في العمل ، كما تظن ، فهل الزواج من شخص لا تربطها به أي أشياء مشتركة ولا تشعر معه حتي بالأمان ، والتفرغ لعملها بل واستغلال زوجها في سير العمل هل هذا سيحقق لها السعادة ؟ ولكن ما البديل عن هذا الزواج ؟ ربما يكون البديل هو عدم استطاعتها أن تذهب مرة أخرى لهذه الشركة وتواجه حشمت بك ، بعد رفضها هذا العرض ، إنه اختيار صعب بالفعل ،

وقامت بإجراء مكالمة هاتفية للأستاذ رأفت واعتذرت عن عدم الحضور اليوم لشعورها ببعض التعب علي أن تقوم زميلتها رشا باستكمال العمل ، وفوجئت بالأستاذ رأفت يعرض عليها الحصول علي أجازة من العمل لحين تحسن صحتها واسترداد عافيتها فوافقت شاكرة

بحثت نهي عن صديقة مقربة لتخفف عنها ما هي فيه وتفرغ شحنتها وقلقها ، ولكنها اكتشفت فجأة أنها بلا أصدقاء حقيقيين ، نعم إن لها مئات الأصدقاء علي مواقع التواصل الاجتماعي ، ولها العديد من الأصدقاء في النادي وفي كل مكان ، ولكن لا ترقى أي علاقة منهم لمستوي الصداقة الحقيقية ، أو علي الأقل لمستوي الصداقة المطلوب للتحديث في ما تريد الحديث عنه حالياً ، ثم تذكرت فجأة صديقتها الأجنبية ، التي تشعر معها براحة نفسية لأنها علي الأقل لا تحمل في نفسها أي أغراض أو نوايا سيئة

فقررت الاتصال بها وبحثت عن رقمها ، وتمنت أن تكون متواجدة في مصر هذه الأيام ، لأن انشغالها بالعمل جعلها تنسي تماماً الاتصال بها أو الاطمئنان عليها ، كما نسيت أمور أخرى كثيرة في زحمة العمل ،

وكلمتها بالفعل وكانت في قمة السعادة عندما أخبرتها بوجودها في القاهرة منذ أيام قليلة وتحاول الاتصال بها ولكنها لم تتمكن من ذلك ، وطلبت منها اصطحابها في جولة سياحية في أي مكان تقترحه ، فتذكرت نهي علي الفور شارع المعز ، كم تحب هذا المكان ، وتعشق التجول فيه ، إنها فرصة مناسبة لاصطحاب صديقتها في هذا الشارع

كان شارع المعز بالنسبة لنهي من أحب الأماكن لقلبها ، فهي عندما تمشي فيه تخرج من المكان والزمان ، وتشعر أنها في آلة الزمن الخيالية فتنتقل بين العصور المختلفة ، إن هذا الشارع يشمل العديد من العصور المختلفة ولكل منها مذاق خاص وطابع متميز ، إنه متحف مفتوح ، بل إنه كتاب تاريخ مجسم ، تتحرك بين صفحاته وتعيش فيها

وبالفعل التقت نهي صديقتها وتوجها إلي الشارع العريق ، وكانت صديقتها لا تعرف الكثير عن هذا الشارع فزيارتها دائماً لهذا المكان تقتصر علي ميدان الحسين وخان الخليلي ، فقامت نهي بالحديث عن هذا الشارع بحماس مما جعلها تنسي تماماً جميع مشاكلها وهمومها في لحظة ، وبمجرد دخولهما لهذا المكان الساحر ،

بل إنها لم تكتف بالكلام من ذاكرتها بل قامت بالبحث عن معلومات في جهازها اللوحي التابلت عن هذا الشارع حتى تستفيد صديقتها استفادة تليق بها دون ارتجال وقديماً قالوا أن الحبر الضعيف أفضل من الذاكرة القوية

كانت نهي تتحدث الإنجليزية بطلاقة ، فكانت تترجم لصديقتها المعلومات التي تقرأها من التابلت أثناء جلوسهما علي ناصية حارة الدرب الأصفر أمام بيت السحيمي الأثري ، وكانت تحاول تبسيط المعلومات وتركيزها لتصل بسهولة لصديقتها وبدأت في القراءة والترجمة والشرح قائلة :

يحتوي هذا الشارع علي آثار من عدة عصور مختلفة  
أولها وأقدمها بالطبع بعض الآثار من العصر الفاطمي من بينها باب الفتوح وباب زويلة وجامع الحاكم بأمر الله الجامع الأنور ، والجامع الأقمر ، والجامع الأفخر مسجد الفكهاني  
كما يحتوي هذا الشارع علي بعض آثار من العصر الأيوبي الذي جاء بعد العصر الفاطمي ومن بينها المدرسة الكاملية نسبة للملك الكامل وكذلك قبة الملك الصالح نجم الدين أيوب  
ويحتوي هذا الشارع أيضاً علي آثار وتحف معمارية رائعة من عصر المماليك البحرية مثل مجموعة السلطان قلاوون ومدرسة الظاهر بيبرس  
ويضم الشارع أيضاً آثار بالغة الروعة من عصر المماليك البرجية ومن أهمها مجموعة السلطان برقوق ومجموعة السلطان قنصوة الغوري ومدرسة الأشرف برسباي وجامع المؤيد شيخ بجوار باب زويلة

كما يوجد بالشارع أيضاً آثار من العصر العثماني مثل سبيل عبد الرحمن كتخدا  
ولم يترك محمد علي باشا بالطبع مثل هذا الشارع دون أن يضع فيه بصمة من عصره فيوجد سبيل لمحمد علي باشا بالقرب من باب زويلة وآخر بالقرب من مجموعة برقوق كما يوجد من عصر محمد علي باشا أيضاً جامع وسبيل سليمان أغا السلحدار وهو علي الطراز العثماني  
كما يتواجد بهذا الشارع عدة بيوت أثرية وخاصة في حارة الدرب الأصفر التي نجلس علي ناصيتها الآن مثل بيت السحيمي وبيت الخرزاتي وبيت مصطفى جعفر وبالقرب منها يقع قصر الأمير بشتاك

كما توجد آثار أخرى سنشاهدها معا ، ويتفرع من هذا الشارع عدة شوارع وحارات أثرية مشهورة مثل شارع الخرنفش الذي به دار كسوة الكعبة التي كانت تخرج منه قديماً وكذلك يتفرع منه حارة الدرب الأصفر وحارة برجوان وحارة خوشقدم وشارع جوهر القائد وحارة الصالحية وخان الخليلي ، كما أن الشارع ليس بعيداً عن الجامع الأزهر وجامع الحسين

وينقسم هذا الشارع إلى عدة شوارع بأسماء مختلفة تم توحيد اسمها بالكامل ليكون اسم الشارع بالكامل شارع المعز لدين الله الفاطمي ولكن كل مقطع من هذا الشارع كان له اسم قبل ذلك مثل شارع الغورية وشارع أمير الجيوش والنحاسين ومنطقة بين القصرين ، وسور القاهرة الفاطمية الجنوبي غير موجود حالياً بجوار باب زويلة بينما يتواجد جزء كبير من سور القاهرة الفاطمية الشمالي حيث توجد أبواب الفتوح والنصر وبالتالي لا يعتبر شارع المعز متحف مفتوح فقط ولكنه كتاب تاريخ تتحرك داخله بين العصور المختلفة

حيث يحفل كل عصر بأحداث تاريخية كبيرة ويتميز كل عصر بلون ومذاق مختلف نراه بوضوح في هذا الشارع عندما تنتقل من تحفة فاطمية إلى جوهرة أيوبية ثم رائعة مملوكية وأخيراً عثمانية ثم عصر محمد علي باشا

وعندما نتحرك في هذا الشارع نشعر بأن عرض الشارع ليس بالكبير ولكننا عندما ندخل أي أثر من هذه الآثار سنجد اتساع كبير ومساحات شاسعة وستندهشي جداً كيف تتواجد هذه المساحات الكبيرة والمنشآت الضخمة في شارع مثل هذا ، كما ستلاحظي أن درجة الحرارة داخل هذه الآثار كما لو كانت مكيفة بالرغم من عدم وجود أجهزة تكييف ولكن فن البناء والتصميم الهندسي لها يجعل الجو بداخلها في منتهي الروعة صيفاً وشتاءً

وستلاحظي أن النشاط التجاري لجميع المحلات الموجودة بهذا الشارع يتناسب مع طبيعة الشارع مثل تجارة الأنتيكات والمتحف والصاغة والعطارة والمصنوعات النحاسية كما توجد عدة مطاعم ومقاهي ومنشآت ليست أثرية ولكنها من حيث اللون الخارجي للجدران تأخذ نفس السياق العام للشارع

كانت صديقتها تستمع وهي في قمة الانبهار والعجب ولا تستطيع الانتظار حتي تدخل كل هذه الأماكن وتلتقط صوراً لها ثم قالت لنهي

- هل تعرفين يا نهي أن هذا الشارع لو كان موجود في بلادنا لكان قد تم استغلاله بشكل أفضل ولكان تم التسويق له عالمياً بحيث يتدفق إليه السائحون من كل أنحاء العالم
- بالفعل يوجد في الشارع كما ترين العديد من السائحين
- إنهم أقل بكثير مما يستحق هذا الشارع

ثم بدأت الجولة بعد الجلسة القصيرة وكانت البداية من بيت السحيمي الذي ما إن دخلته حتي اندهشت من هذه المشربيات في الطابق الأعلى التي تجعل المرأة تقف فيها دون أن يراها أحد ومع ذلك تشعر بالهواء والشمس وتري كل ما في الخارج ، وطلبت من نهي أن تقرأ لها أي معلومات عن تصميم هذه المنازل الرائعة

فقامت نهى أثناء جلوسهما داخل بيت السحيمي بالبحث في التابلت حتي تذكرت كتاب سيرة القاهرة للمؤرخ البريطاني ستانلي لين بول فهي تذكر أنها قد قرأت في هذا الكتاب عن تصميم المنازل المصرية القديمة ، وبحثت عن الكتاب إلي أن وجدت هذه المعلومات وبدأت بالفعل في ترجمتها حيث يقول المؤرخ :

(----) وفي داخل الدار ممر ينعطف فجأة بعد خطوة أو خطوتين ، ويحول دون مشاهدة أي شيء في الداخل وأنت بالباب الخارجي ، وفي نهاية هذا الممر نجد أنفسنا أمام فناء متسع به بئر المياه - في أحد الأركان الظليلة ، وفي أغلب الأحيان نجد شجرة عتيقة للجميز ، وفي هذا المكان لا تتلمس دليلاً علي أن ثمة حياة ، فالأبواب مغلقة في إحكام إمعاناً في الغيرة والحذر ، والنوافذ تحجبها تلك الستائر الخشبية البديعة التي تروق عين الفنان ، وتغري الكثير من الغواة باقتنائها ،

والفناء الداخلي لا يقل في هدوئه وسكونه عن تلك الأجزاء التي تطل علي الشارع نفسه ، وهنا لا نري أية علامة لحياة هؤلاء السكان المنزلية ، لأن غرف النساء منعزلة تماماً عن هذا الفناء ولا تطل عليه ، إنما تطل عليه غرف الرجال وحجرات الاستقبال وما إلي ذلك والواقع أن هذا المكان الهادئ منعش جداً حينما يأوي إليه المرء بعد أن قاسي الكثير من الجلبة والصخب في الشارع

حينئذ يشعر المرء أن المهندسين المصريين قد أدركوا لحسن الحظ ما تقتضيه الحياة في الشرق ، فهم يجعلون الشوارع ضيقة ، ويظلونها بالمشربيات البارزة حتي لا تصل أشعة الشمس المحرقة إليها ، كما هو الحال في شوارع المدن الأوروبية الواسعة ، حيث تستطيع الشمس أن تنفذ إلي هذه الدور ، ولكنهم يجعلون المنازل نفسها فسيحة الأرجاء ، ويحيطونها بالحدائق والأفنية ، لأن حرارة الشمس لا تطاق في الغرف في أثناء الصيف ما لم يتخللها الهواء

إن فن المهندس الشرقي يتلخص في أنه يبني لك منزلك بحيث لا تستطيع أن تري شيئاً من خلال نوافذ جارك ، وبحيث لا يستطيع جارك في الوقت نفسه أن يري شيئاً مما يدور خلف نوافذ منزلك والطريق الواضح للوصول إلي هذه الغاية ، هو أن تكون الحجرات بحيث يحيط بها فناء واسع فسيح الأرجاء ، وأن تكون النوافذ محتجبة بالستائر الخشبية المتشعبة التي تسمح لقبس ضئيل من النور أن يدخل ، وتدع قدرأً وثيراً من الهواء يتخلل أجزاءها كما يسمح بالنظر من خلال هذه النوافذ دون أن يري الغريب من المارة ما بداخلها والستائر الخشبية والفناء المنعزل من شأنهما أن يعمل علي تحقيق ذلك النظام الذي يحتمه الإسلام بفصل الجنسين بعضهما عن بعض ،

والحجرات السفلي التي تواجه أبوابها الفناء مباشرة ، وهي تلك الحجرات التي يستطيع الشخص أن يمشي فيها آمناً ولا يخشى أن يري وجهاً لأية امرأة في البيت ،  
وإلى إحدى تلك الحجرات السفلي يتقدمنا مضيفنا ، طالباً إلينا في أدب جم أن نوليه الشرف بأن  
نظهر كما لو كنا في بيوتنا الخاصة ،

إنها حجرة الاستقبال ، أو المنظرة ، وهي بمثابة أنموذج لما ينبغي أن تكون عليه الغرف في  
العادة ، والجزء الذي ندخل منه في الحجرة منخفض عن بقية الأجزاء ، وإذا كان المنزل أنيقاً حقاً  
فإننا نجد هذا الجزء المنخفض مغطي بالرخام المصنوع من الفسيفساء ، وفي وسطه نافورة تعمل  
علي تبريد الهواء ، وبإزاء الباب نجد قطعة مسطحة من الرخام محملة علي أقواس ، حيث توضع  
قلال الماء وأقداح القهوة وأدوات غسيل الأيدي

ونحن نخلع أحذيتنا الخارجية ونتركها علي الجزء الرخامي من الحجرة قبل أن نطأ ذلك الجزء  
المغطي بالبسط ، وهناك تجد الأرض مغطاة ببسط من الصوف الخشن ، كما نجد بمحاذاة ثلاثة  
من أضلاع الحجرة ديواناً منخفضاً وفي الحائط الخلفي مشربية بداخلها وسائد مريحة ، وبأعلاها  
نحو من ستة من النوافذ مكونة من قطع صغيرة من الزجاج الملون ، ومن حولها إطار من الطلاء  
، فتكون بذلك علي شكل زهرة ، وهذه النوافذ من شأنها أن تسمح لنصف الهواء فقط بأن يمر من  
خلالها ، أما الجانبان الآخران فمطلبان بالجير ، وليس بهما خشب أو قرميد ، بل أعدت بها  
بضعة أصونة خشبية منخفضة لها أبواب صغيرة تفتح بطريقة هندسية معقدة ، وعلي جانبي كل  
صوان من هذه الأصونة كوة صغيرة مقوسة ، وفي أعلاه رف وضعت عليه الأطباق المزخرفة  
والأوعية وغيرها من أدوات الزينة المنقوشة ، أما سقف الحجرة فيتكون من ألواح مثبتة في جذوع  
ضخمة ، ولونه في العادة أحمر قاتم ، غير أنه في البيوت القديمة نجد في السقف غالباً بعض  
النقوش الجميلة ،

ولا نجد في الحجرة مناخذ أو كراسي أو مدفئات أو أي شئ من الأثاث الذي يعرفه الأوروبي ،  
وحينما يحين وقت الطعام ، يحضر خوان صغير مستدير ، وإذا كان الجو بارداً قدم موقد أوقد فيه  
فحم الخشب ،

وبدلاً من الكراسي نجد القاهري يضع رجليه من تحته علي الديوان ويجلس القرفصاء ، تلك  
الجلسة التي إذا فكر الأوروبي أن يجلس مثلها أصيب بتشنج في الأعصاب ،  
كانت نهى تقرأ وتترجم لصديقتها التي كانت تتأمل في ذهول وتقرآن ما تسمعه بما تراه ، إنها  
عبقرية البناء بالفعل دون أجهزة تكييف أو أنظمة إضاءة معقدة ، ما أروع ما تراه وما تسمعه

واستمرت الجولة بين الآثار طول اليوم ، ولفت نظر صديقتها أن هناك أعمدة داخل بعض المباني تشبه الأعمدة الجرانيت الموجودة في معابد الأقصر كما أن هناك أعمدة رومانية أيضاً داخل المساجد والمدارس فقالت لها نهى :

- كان المصريون في العصور الإسلامية يستخدمون هذه الأعمدة في البناء وينقلونها من أماكنها الأصلية

- هذا يعني أن هذا الشارع لا يشمل آثار من عصور إسلامية فقط بل إن كل تاريخ مصر موجود هنا بكل عصوره المختلفة منذ عهد الفراعنة إنه شيء رائع حقاً

وكانت نهى وصديقتها تلتقطان الصور المختلفة وقامت صديقتها بشراء هدايا وتحف وتناولوا وجبة الغداء ثم جلستا علي إحدي مقاهي ميدان الحسين بعد إصابتهما بالإرهاق نتيجة كثرة التجول والوقوف والكلام

وفي المساء عادت نهى إلي منزلها وهي في قمة السعادة وقد خففت عنها هذه الرحلة ما كانت تعانيه ، بل إنها استسلمت للنوم لتشعر بالراحة بعد يوم كامل من الحركة والنشاط

وفي هذا المساء كالعادة جلس الأستاذ بهجت يتحدث إلي أصدقاءه كما وعدهم عن حكاية كافور الإخشيدي مع المتنبي وبدأ الحديث عن الدولة الإخشيدية والمتنبي بشكل عام قبل أن يتحدث عن كافور وقرأ لهم المكتوب عن هذا الموضوع قائلاً :

عاش المتنبي أفضل أيام حياته وأكثرها عطاء في بلاط سيف الدولة الحمداني في حلب وكان أحد أعظم شعراء العرب، وأكثرهم تمكناً باللغة العربية وأعلمهم بقواعدها ومفرداتها، وله مكانة سامية لم تتح مثلها لغيره من شعراء العربية. فيوصف بأنه نادرة زمانه، وأعجوبة عصره، وظل شعره إلى اليوم مصدر إلهام ووحى للشعراء والأدباء. وهو شاعر حكيم، وأحد مفاخر الأدب العربي. وتدور معظم قصائده حول مدح الملوك. وقد مدح سيف الدولة كما عاتبه أيضاً في قصيدة شهيرة فيما يلي بعض مقتطفات منها :

يا أعدل الناس إلا في معاملتي "

فيك الخصام و أنت الخصم والحكم

فقاطعه المعلم سيد قائلاً :

- يا سلام يا أستاذ الخصم والحكم ده بيمدحه ولا بيشتمه

- بيعاتبه يا معلم ، وبعدين ده المتنبي يا جماعة

واستمر في القراءة :

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا "

بانني خير من تسعى به قدم

انا الذي نظر الأعمى إلى أدبي "

و أسمعت كلماتي من به صمم "

فقال الأسطي فرغلي :

- يعني عايز يقول إن الأعمى لامؤاخذه قرأ شعره وإن الأصم سمعه ده باين عليه كان مغرور أو المتنبي ده
- انت لسه شفت حاجة اسمع بيقول إيه

إذا رأيت نيوب الليث بارزة "

فلا تظنن أن الليث يبتسم "

الخيال والليل والبيداء تعرفني "

والسيف والرمح والقرطاس و القلم "

وهنا قال عم حسين :

- أيوه أيوه أنا سمعت موضوع الخيل والليل ده قبل كده كتير

- أيوه يا عم حسين ما هو ده أشهر بيت شعر للمتنبي

يا من يعز علينا أن نفارقهم "

وجداننا كل شيء بعدكم عدم "

إن كان سرکم ما قال حاسدنا "

فما لجرح إذا أرضاكم ألم "

- وعندما مات حاكم مصر أبو بكر محمد بن طغج الإخشيد الذي يقول عنه المقرئ ( - وكان حازماً شديداً التيقظ في حروبه ، حسن التدين ، مكرماً للأجناد ، شديد القوي لا يكاد يجر قوسه غيره ، حسن السيرة في الرعية ، نجيباً شهماً - ) وتأثر الناس بموته ورثاه المتنبي فقال :

هُوَ الزَّمَانُ مَنَنْتَ بِالَّذِي جَمَعَا

فِي كُلِّ يَوْمٍ تَرَى مِنْ صَرْفِهِ بَدَعَا

لَوْ كَانَ مُمْتَنِعٌ تُغْنِيهِ مَنَعُهُ

لَمْ يَصْنَعْ الدَّهْرُ بِالْإِخْشِيدِ مَا صَنَعَا

ذَاقَ الحِمَامَ فَلَمْ تَدْفَعْ عَسَاكِرُهُ

عَنْهُ القَصَاءُ وَلَا أَعْنَاهُ مَا جَمَعَا

لَوْ يَعْلَمُ اللُّحْدُ مَا قَدْ ضَمَّ مِنْ كَرَمِ

وَمِنْ فَخَارٍ وَمِنْ نِعْمَاءٍ لَأَتَّسَعَا

يَا لَخْدُ طُنِّ إِنَّ فِيكَ الْبَحْرَ مُحْتَبَسًا  
وَاللَّيْثَ مُهْتَصِرًا وَالْجُودَ مُجْتَمَعًا  
يَا يَوْمَهُ لَمْ تَخْصِ الْفَجْعَ أُسْرَتَهُ  
كُلُّ الْوَرَى بَرْدَى الْإِخْشِيدِ قَدْ فُجِعَا

وفي أواخر عصر الدولة الإخشيدية وعندما تولي أبو المسك كافور الأخشيدي حكم مصر وكان عبد أسود للأخشيد ولكنه كان الساعد الأيمن للأخشيد ومربي أولاده والناصح الأمين لهم والوصي عليهم عندما تولوا الحكم فعندما تولي بنفسه حكم مصر بناءً علي رغبة الجميع بعد وفاة أحد أبناء الإخشيد وقعت في مصر هزة أرضية عظيمة خافوا الناس من ذلك وهربوا إلي الجبال وتشاءم الأمير كافور من الأمر واعتزل الناس ، حتي أخرجه من عزلته شاعر مصر الرسمي محمد بن عاصم ، إذ دخل عليه وألقى قصيدة عصماء بين يديه منها هذا البيت :

ما زلزلت مصر من خوفٍ يرادُ بها  
لكنها رقصت من عدله طرباً

فقال المعلم سيد

- يعني الأرض كانت بترقص من عدله ده نفاق عيني عينيك  
- أيوه يا معلم بس كافور كان برضه راجل محترم والقصيدة دفع فيها أبو المسك كافور ألف دينار ذهباً ، وهذه الجائزة هي السبب الحقيقي الذي جعل المتنبي يشد رحاله إلي كافور ، فإذا كان يدفع ألف دينار إلي شاعر مثل محمد بن عاصم فكم يدفع لشاعر في وزن المتنبي ، وبالفعل حضر أبو الطيب المتنبي إلي مصر ومدح كافور في قصيدة شهيرة هذه مقتطفات منها

وَحَسْبُ الْمَنَايَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا	كفى بك داءً أن ترى الموت شافياً
صديقاً فأعنيا أو عدواً مُداجياً	تَمَنِّيْتَهَا لَمَّا تَمَنِّيْتَ أَنْ تَرَى
فَلَا تَسْتَعِدِّنِ الْحُسَامَ الْيَمَانِيَا	إِذَا كُنْتَ تَرَضَى أَنْ تَعِيشَ بِذَلَّةٍ
وَقَدْ كَانَ غَدَاراً فَكُنْ أَنْتَ وَأَفِيَا	حَبَبْتُكَ قَلْبِي قَبْلَ حُبِّكَ مِنْ نَائِي
لَفَارَقْتُ شَيْبِي مُوجِعَ الْقَلْبِ بَاكِيَا	خُلِقْتُ أَلُوفاً لَوْ رَجَعْتُ إِلَى الصَّبِي
حَيَاتِي وَنُصْحِي وَالْهَوَى وَالْقَوَافِيَا	وَلَكِنْ بِالْفُسْطَاطِ بَحْرًا أَرْزُهُ
وَمَنْ قَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَابِيَا	قَوَاصِدَ كَافُورٍ تَوَارِكَ غَيْرِهِ
فَإِنْ لَمْ تَبْدُ مِنْهُمْ أَبَادَ الْأَعَادِيَا	يُبِيدُ عَدَاوَاتِ النَّبْعَةِ بِالطُّفِيهِ
إِلَيْهِ وَذَا الْيَوْمِ الَّذِي كُنْتُ رَاجِيَا	أَبَا الْمِسْكِ ذَا الْوَجْهِ الَّذِي كُنْتُ تَائِقًا
وَكُلَّ سَحَابٍ لَا أَحْصُ الْغَوَادِيَا	أَبَا كُلِّ طَيْبٍ لَا أَبَا الْمِسْكِ وَحَدَهُ

إِذَا كَسَبَ النَّاسُ الْمَعَالِي بِالنَّدَى  
فَإِنَّكَ تُعْطِي فِي نَدَاكَ الْمَعَالِيَا  
وَعَبِيرٌ كَثِيرٌ أَنْ يَزُورَكَ رَاجِلٌ  
فَيَرْجِعَ مَلَكًا لِلعَرِاقِينَ وَالْيَا

ولكن لم يتحقق ما كان يتمناه المتنبي من كافور فهجاه بعد ذلك  
واسمعوا كمان اللي كتبه الكاتب الساخر محمود السعدني عن كافور في كتابه الممتع مصر  
من تاني :

لقد كان عمنا كافور صاحب فضل وصاحب علم ، وكان لا يصاحب إلا أعلم أهل زمانه ،  
وكان من حاشيته علماء النحو وعلماء الفقه وأعدل القضاة ، وكانت مواعده العامرة مبدولة  
للجميع ، ودواره مفتوحة للفقراء قبل الأثرياء ، وكان لمطبخه في كل يوم ألفا رطل من اللحم  
البقري وسبعمائة رطل من اللحم الضأن ،

فقال الأسطي فرغلي :

- إيه ده كله يا أستاذ

- اسمع بس لسه في حاجات تانية كثير

وأكمل القراءة :

ومائة طير أوز ، وثلاثمائة طير دجاج ، وثلاثمائة فرخ حمام ، وعشرون فرخ سمك كبار ،  
وعشرون جملاً رضع ، وثلاثمائة صحن حلوي ، وألف قفص من تفاح ، ومائة قرية من السكر  
، وكان يحضر علي سماطه الخاص والعام

- ومين بياكل كل ده ؟

- أي حد عايز يروح ياكل مفيش مشكلة

- ده كده كل الناس حتروح تاكل عنده

- كافور ما كانش بيمنع أي حد يبجي ياكل لأنه كان بيعمل الأكل ده لكل الناس

وأكمل الأستاذ القراءة :

وقد اضطربت أحوال مصر بعد وفاة كافور وأصبحت جاهزة تماماً للزحف الفاطمي من الغرب  
وقد كان المعز لدين الله الفاطمي ينتظر هذه اللحظة لينتزع مصر من الخلافة العباسية السنية  
ويضمها للمد الشيعي فكان يعد العدة لذلك ويقول عن ذلك د محمود الحويري ( - بدأ المعز  
لدين الله الفاطمي يعد العدة لفتح مصر ، فحفر الآبار علي الطريق من أفريقية إلي برقة ،  
وأنشأ النزل علي رأس كل مرحلة من هذا الطريق ، وعندما وصلته الأخبار بموت كافور  
الإخشيدي جهز جيشاً ضخماً بلغ تعداده مائة ألف مقاتل أغلبهم من القبائل البربرية عهد  
بقيادته إلي قائده جوهر الصقلي ، وقد تجمع هذا الجيش في مدينة القيروان ، وهناك التفت

المعز إلي المشايخ الذين وجههم مع جوهر وقال : والله لو خرج جوهر هذا وحده ليفتحن مصر وليدخلنها بالأردية من غير حرب ---- وبينى مدينة تسمى القاهرة تقهر الدنيا - - ) فتكلم المعلم سيد :

- يعني المعز جه مصر بعد كافور ؟
  - أيوه وكان عارف إنه ما يقدرش يدخلها أو يبعث لها جيش إلا إذا مات كافور
  - للدرجة دي ممكن شخص واحد يمنع تحرك جيش كبير ناحية بلده
  - مش أي شخص يا معلم دول ناس كانوا علامات في تاريخ مصر زي ابن طولون والإخشيدي وكافور وبعد كده المعز
- ثم ابتسم الأستاذ وهو يقول :

- وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

ثم بعد قليل عاد كل منهم إلي منزله وانتهت الأمسية

أما نهي ففي صباح اليوم التالي التقت صديقتها الأجنبية واستكملا جولتهما السياحية وذهبتا إلي جامع عمرو بن العاص ومنه إلي قلعة صلاح الدين ، وهناك دخلوا جامع محمد علي باشا صاحب الشخصية الأسطورية الثرية والذي كتب عنه الكثيرون ولا زالوا ، وكان من الطبيعي أن تسأل الصديقة عن شخصية محمد علي ومذبحة القلعة الشهيرة والتي تخلص فيها محمد علي باشا من المماليك

فكانت نهي تجيبها من الكتب كعادتها حتي تكون المعلومات دقيقة وموثقة مستغلة وجود عدد كبير من الكتب علي التابلت الخاص بها بالإضافة إلي إمكانية تحميل كتب أخرى من علي شبكة المعلومات الانترنت ، وبالتالي كان لديها معلومات غزيرة عن أي موضوع تستفسر عنه صديقتها وأثناء جلوسهما بجوار جامع محمد علي يتأملون القاهرة من أعلي قالت صديقتها :

- وجود الحاكم في هذا المكان يجعله ينظر إلي الشعب نظرة تعالي فالمكان نفسه يوحي بذلك وحجمه وتحصيناته يجعل كل شئ آخر ضئيل بالنسبة له
- فعلاً كل من حكم مصر كان يقيم في القلعة من العصر الأيوبي وحتى عصر الخديوي اسماعيل الذي قرر الانتقال منها إلي قصر علي الطراز الأوروبي وهو قصر عابدين ، فكان الحاكم يشعر بالفعل بأنه يحتل موقع مميز ومرتفع ومحصن
- ولكن لماذا قرر محمد علي أن يقوم بهذه المذبحة البشعة ؟
- لقد شعر محمد علي فيما أظن ان الطريقة الوحيدة لتحقيق مشروعه الكبير هو الانفراد بالسلطة في مصر فتخلص أولاً من الزعامة الشعبية التي أوصلته للسلطة ثم بعد ذلك تخلص من المماليك

- وهل قام بعمل مذبحة أيضاً لزعماء الشعب ؟
  - لا لم تكن مذبحة بل كان له أسلوب آخر في كسر شوكتهم ، وحتى لا أذكر أي معلومات غير حقيقية سأقرأ لك عن هذا الموضوع لأنني قمت بتلخيصه من ثلاث كتب مختلفة ، واحد لعبد الرحمن الرافعي والثاني للجبرتي والثالث لجمال بدوي
  - هذا شيء رائع فماذا كتبوا عن الزعامة الشعبية ومذبحة القلعة ؟
- وبعد قليل من البحث عثرت نهي علي هذا الملف وبدأت في القراءة :
- يقول عبد الرحمن الرافعي : ( من الراجح أن محمد علي باشا كان يميل في ذات نفسه إلي التخلص من الزعامة الشعبية التي أجلسه علي قمة المجد ، لأن هذه الزعامة كانت في هذه السنوات الأولى من حكمه بمثابة سلطة ذات شأن تستقصي عليه وتراقب أعماله مراقبة مستمرة وكانت ملجأ الشاكين ممن ينالهم الظلم - - )

ولئن كان محمد علي مديناً للزعامة الشعبية بولاية الحكم وتثبيتته وتذليل العقبات التي اعترضته وإحباط الدسائس والمؤامرات التي تدبر له فإن السلطة في ذاتها من شأنها أن تطغي صاحبها وتنزع به إلي الاستبداد بالأمر ، فمحمد علي بعد أن استقر في الحكم وثبتت أقدامه طمحت نفسه إلي الاستبداد بالأمر وبدأ يشعر بالغضاضة من تدخل العلماء وأهل الرأي في شئون الحكم وسعيهم في دفع المظالم عن الناس ) ،

ويقول الجبرتي : ( ولما انقضي هذا الأمر واستقر الباشا وأطمأن خاطره وخلص له الإقليم المصري - - فأول ما بدأ به أنه أبطل مسموح المشايخ والفقهاء ومعافي البلاد التي التزموا بها - - واغرتوا بذلك واعتقدوا دوامه وأكثروا من شراء الحصص من أصحابها بدون القيمة وافتتنوا بالدنيا وهجروا مذاكرة المسائل ومدارسة العلم إلا بمقدار حفظ الناموس مع ترك العمل بالكلية وصار بيت أحدهم مثل بيت أحد الأمراء - - واتخذوا الخدم والأعوان - - وانقلب الوضع فيهم بضده وصار ديدينهم واجتماعهم ذكر الأمور الدنيوية والحصص والالتزام - - وأوقع مع ذلك زيادة عما هو بينهم من التنافر والتحاسد والتحاقد علي الرياسة ) ،

ويؤكد الرافعي أن السيد عمر مكرم لم يخضع لمغريات محمد علي باشا ( فلم تلن قناته للمنافع والمغريات ولم تزعزعه الكوارث والتهديدات وقد ظل يمثل النزاهة والاستقامة حتي آخر نسمة من حياته وأيده في مسلكه بعض الشيوخ ولكن أغلبيتهم قد انصرف إلي أسباب المنافع والاستكثار من الأموال والضياع والدور والقصور ) ،

أما المؤرخ جمال بدوي فكتب يقول عن هذا الموقف ما يلي

( فبعد تولية محمد علي وانفراده بالحكم ونكوصه عن العهود والمواثيق التي أقسم علي احترامها كان عليه أن يزيج عمر مكرم ثم ينفيه إلي دمياط ووطنًا تنفيذاً لتعليمات مكيا فيلي التي

تنصح الأمير بأن يطيح بكل الذين ساعدوه علي الوصول إلي الحكم ووجد محمد علي تشجيعاً وتأييداً - بل تحريضاً - من مشايخ الأزهر للخلاص من عمر مكرم مقابل إنعامات رخيصة أغدقها عليهم ثم استردها منهم بعد أن استخدمهم في التآمر علي زعيمهم وعندما ذهبوا إليه محتجين علي إلغاء امتيازاتهم لم يجدوا منه سوي أقذع العبارات وهي نتيجة طبيعية لمن يبيع نفسه ثم يعجز عن استردادها مرة أخرى بعد أن تكون النفس قد تلوثت وفسدت )  
فقال صديقتها :

- إنه اسلوب ماكر جداً في التخلص من الزعامة الشعبية ، بل إن الناس تذكر لمحمد علي موضوع المذبحة ومنهم من يلومه عليها ولكن لا أحد يذكر هذه القصة ، لقد فهمت الآن ماذا حدث لهؤلاء الشيوخ فماذا عن مذبحة القلعة ، هل لديك كتابات عنها ؟  
- بالطبع مكتوب عندي كل ما يخص عصر محمد علي وغيره

وقامت نهى بالقراءة مرة أخرى :

بعد أن كسر محمد علي شوكة المشايخ وقام بنفي كبيرهم السيد عمر مكرم خارج القاهرة بعيداً عن الأحداث قرر أن يتخلص من الأمراء والقادة المماليك الذين أعطاهم الأمان وجعلهم يتركون ساحات القتال وسكنوا بالقاهرة وعاشوا حياة كريمة غير متطلعين للحكم فقام بدعوتهم لحضور احتفال ضخم وفخم بالقلعة لوداع ابنه أحمد طوسون باشا الذي كان متوجهاً علي رأس جيش لمهمة خارج البلاد وكان يوم الجمعة أول مارس سنة 1811م ( وقبل ابتداء الحفلة دخل البكوات المماليك علي محمد علي باشا في قاعة الاستقبال الكبرى فتلقاهم بالبشر والحفاوة وقدمت لهم القهوة وشكرهم الباشا علي إجابتهم دعوته وألمع إلي ما ينال ابنه من التكريم إذا ما ساروا معه في موكبه فأجابوه بالشكر - -

وعندئذ نهض المماليك وساروا إلي حيث يأخذون مكانهم في الموكب الفخم ) وكان الموكب يتواجد به مجموعات من الجنود تسير أمام وخلف مجموعة المماليك ، وكان يمر بمنطقة شديدة الضيق بالقلعة وفي نهايتها باب خرج منه مقدمة الموكب ثم تم إغلاقه علي المماليك والجنود وانهاه عليهم ضرب النار من أعلي الأماكن المجاورة لهذا الممر الضيق ( لم يستطع المماليك دفاعاً عن أنفسهم ولم يكن لديهم الوقت ولا القدرة علي الحركة أو الرجوع القهقري أو النزول عن جيادهم لضيق المكان الذي حصروا فيه ولأنهم جاءوا الاحتفال من غير بنادق ولا رصاص ولم يكونوا يحملون سوي سيوفهم وهيئات أن تعمل السيوف في ذلك الموقف شيئاً فانصب عليهم الرصاص وحصدهم حصداً وجاءهم الموت من كل مكان ) ، وهكذا دخل القلعة في صبيحة ذلك اليوم أربعمائة وسبعون من المماليك وأتباعهم قتلوا جميعاً ولم ينج منهم إلا واحد اسمه أمين بك فإنه كان في مؤخرة الصفوف ) وقفز بجواده من فوق سور القلعة وتلقي الجواد الصدمة ونجا هو

وفر متنكراً إلي أن وصل سوريا فيما بعد ، وكانت المذبحة مؤامرة محكمة من محمد علي استطاع أن يقتل فيها من لم يستطع أن يقتله في ساحات القتال حيث الأماكن المخصصة للقتل الشريف ، أما ما فعله الباشا فهو غدر بكل ما تحمله هذه الكلمة من معاني وقد علق المؤرخ الكبير عبد الرحمن الرافعي علي هذه المذبحة فكتب الآتي :

( تلك هي الواقعة الشهيرة بمذبحة القلعة ونحن هنا لا نريد أن ندافع عن المماليك - - ولكن مهما بلغت سيئاتهم فإن القضاء عليهم بوسيلة الغدر أمر تأباه الإنسانية ولو أن محمد علي باشا استمر في محاربتهم وجهاً لوجه حتي تخلص منهم في ميادين القتال لكان ذلك خيراً له (ولسمعته ) ، ويقول المسيو جومار وهو الذي جعله محمد علي باشا مديراً لأول بعثة مدرسية مصرية في فرنسا ( لو أمكن محو تلك الصحيفة الدموية من تاريخ مصر لما صار محمد علي هدفاً لأحكام التاريخ القاسية - - ويضيف الرافعي فيقول : ومن جهة أخرى فإن الفتك بالمماليك علي هذه الصورة الرهيبة قد كان له أثر عميق في حالة الشعب النفسية لأن مذبحة القلعة أدخلت الرعب في قلوب الناس وكان من نتائجها أن استولت الرهبة علي القلوب فلم يعد ممكناً إلي زمن طويل أن تعود الشجاعة والطمأنينة إلي نفوس الناس )  
وبعد أن انتهت نهي من القراءة سألت صديقتها :

- هل الغاية تبرر الوسيلة فعلاً كما يقول ميكيا فيلي ؟
- مهما كانت الغاية نبيلة فلا مبرر عندي لاستخدام وسائل بشعة ، والسؤال هنا لماذا أراد محمد علي أن ينفرد بالسلطة في مصر ؟
- لأن الكثيرين من الحكام الذين تولي حكم مصر لم يتمكنوا من تحقيق أي إنجاز إلا بعد أن انفردوا بالسلطة
- أنا أدرك تماماً أن حكم الشخص الواحد كان موجوداً في تاريخ العالم كله حتي في بريطانيا واحة الديمقراطية حالياً فلا أظن أن أحداً كان يستطيع أن يراجع الملك ريتشارد قلب الأسد مثلاً وغيره من ملوك أوروبا في أي قرار يصدره ، وبالتالي هذا الأسلوب في الحكم كان منتشر في العالم كله وليس في الشرق فقط
- ولكن مع مرور الزمن وتطور أنظمة الحكم أصبحت الشعوب تراجع حكامها وتراقب الميزانية العامة وتدلي بأصواتها في الانتخابات فتسقط حكومات وتصعد حكومات أخرى طبقاً لإرادة الشعوب ، وهذا التطور في أنظمة الحكم لم يكن موجوداً علي عهد محمد علي باشا ، فكان عليه أن ينفرد بالسلطة كي يحقق أهدافه
- كل هذا كلام جميل ولكن الغاية لا تبرر الوسيلة من وجهة نظري الشخصية

وهنا فكرت نهى في مشكلتها الخاصة ، وقررت عرضها علي صديقتها الأجنبية لتعرف رأيها فبالأكيد لن تخدعها أو تتلاعب بمشاعرها ، ولكن كان عليها أن تحكي لها القصة كاملة منذ بدء عملها في شركة حشمت بك وحتى عرض الارتباط بابنه سامر مؤخراً وبالفعل قامت نهى بسرد القصة بالكامل علي صديقتها بكل التفاصيل أثناء وجودهما أعلي القلعة ثم سألتها :

- هل يمكنني أن أحقق ذاتي وطموحي في العمل مستغلة هذا الزواج ؟  
 - أنت بالفعل قمت باستغلال كونك ابنة رجل أعمال كبير وتم تعيينك في شركة أحد أصدقاءه ، وبالتالي أنت لم تحققي ذاتك بالفعل حتي الآن مهما كنت تحاولين إثبات ذلك لنفسك ، بل إن كل إنجازاتك منذ دخولك الشركة لا علاقة لها بمجهودك أو مواهبك بل هي بالكامل بسبب وضعك الاجتماعي

كانت نهى تتوقع أن تصارحها صديقتها بالحقيقة ولكنها صعقت من ردها ، فهي كانت تتكلم بصراحة مطلقة ، أذهلتها حتي أنها لم تستطع الرد في الحال ، بل إن صديقتها لم تمهلها واستمرت في الكلام قائلة

- هل فكرت أن تجلسي في بيت والدك وترين من سيهتم بك ، أو تحاولين البحث عن عمل دون مساعدة من والدك ، فهل ستحصلين علي عمل مناسب ؟  
 كانت نهى تستمع وهي في قمة الإحراج والغضب ، ولولا أنها تدرك جيداً أن صديقتها لا تقصد إهانتها ولكنها تجيبها علي سؤالها فقط لكان اختلف رد فعلها تماماً ، فهي المرة الأولى في حياتها تقريباً الذي يتكلم معها أحد بهذا الشكل ، فهل لا يوجد فرق بينها وبين سامر ، وأن كلاهما صنيعة أسرته ولا دخل لمواهبه في الموضوع ؟

وانتهى اللقاء وعادت إلي منزلها نادمة علي أنها فتحت الموضوع مع صديقتها الأجنبية التي جرحتها ربما دون أن تقصد ،

وأعادت نهى التفكير بهدوء في كل شئ ، في عملها وفي علاقتها بزملائها وفي علاقتها بحشمت بك وابنه وحتى في علاقتها بالأسطي فرغلي وعندما تذكرت الأسطي فرغلي تذكرت صديقه العجوز المثقف الذي يتكلم عنه كثيراً ويقول أن له خبرة كبيرة في الحياة وقرأ الكثير من الكتب ، بل إنه يعرف شياشكو أيضاً ، وقررت أن تتواصل مع الأسطي فرغلي حتي يتيح لها لقاء هذا الرجل الحكيم لتعرض عليه مشاكلها وتستمع إلي رأيه

وكان الأستاذ بهجت في ذلك الوقت مشغول مع ابنه الوحيد شريف الذي حضر من الخارج في أجازة قصيرة ، وقد اتصل بالطبع قبل حضوره ليعلم والده الذي كان يفترقه كثيراً ،

فكان حضور شريف بالنسبة لوالده هو أكثر شئ يدخل علي قلبه السعادة ، وشريف شاب مثقف أيضاً مثل والده كما أنه إنسان طيب وحنون ويحب والده كثيراً ، ويحب أن يدخل عليه السرور والفرحة ، فحضوره إلي مصر يكلفه الكثير من الأموال بلا شك ، ولكن حبه لوالده وحبه لبلده أيضاً يجعله لا يتردد في الحضور كلما أتحت له الفرصة ، وكان دائماً حزين علي أحوال بلده ويشعر أنها تحتاج الكثير كي تنهض ، ورغم أنه يعمل في فندق كبير في إحدى الدول الأوروبية ويستطيع أن يذهب إلي أي دولة هناك ، ويرى دوماً غاية في التحضر والرقى ، إلا أن عشقه لبلده لا يتأثر أبداً بما يراه ، فليس مطلوباً أن تكون بلده أفضل البلاد كي يحبها فهو يحب والده ولا يشترط أن يكون أفضل الرجال ،

وقد ترك بلده مضطراً كما ترك والده ، بعد أن ضاقت به الحياة ولم يعد قادر علي انتظار عمل مناسب كل هذا الوقت ، والطريف أن العمل الذي يعتبره الشاب المصري غير مناسب في مصر ، يكون مناسب بالنسبة له خارج مصر ، ربما لأن نظرة المجتمع تختلف لنوع العمل من بلد إلي آخر ، فقد يقول أحد الأشخاص أنه يشجع عمل الشباب في أي عمل شريف وعندما يتقدم الشاب لخطبة ابنة ذلك الشخص يرفضه لأن عمله غير مناسب ، لأن هناك فجوة كبيرة بين ما يقوله ويفتخر به من مبادئ ومعتقدات وبين ما يمارسه بالفعل من سلوكيات

وكان شريف يعرف كل هذا عن المصريين ومع ذلك يحبهم جداً ، فالحب يجعل الإنسان لا يهتم كثيراً بعيوب من يحبهم بل إنه يحبهم بعيوبهم ، فكان شريف كلما ذكر مصر وشعبها تذكر أبيات صلاح جاهين

على اسم مصر التاريخ يقدر يقول ما شاء

أنا مصر عندي أحب وأجمل الأشياء

بحبها وهي مالكة الأرض شرق وغرب

وبحبها وهي مرمية جريحة حرب

بحبها بعنف وبرقة وعلى استحياء

واكرهها وألعن أبوها بعشق زي الداء

واسيبتها واطفش في درب وتبقى هي ف درب

وتلتفت تلاقيني جنبها في الكرب

والنبض ينفض عروقي بألف نغمة وضرب”

وكان مما يدل علي حب شريف لمصر ، أنه أتحت له الفرصة أكثر من مرة أن يتزوج من أجنبية ويحصل علي جنسية أخرى ، ولكنه كان يعتز بجنسيته ، ويعتز بجواز سفره المصري

وكان شريف يحب الاستماع لوالده وهو يقرأ له عن مصر فقد كان والده من أسباب حبه الشديد لمصر منذ صغره ، وكان دائماً يقرأ له من كتاب شخصية مصر ففهم بعمق أبعاد الشخصية المصرية كما حلها الدكتور جمال حمدان ، فكان شريف يذكر مقتطفات من هذا التحليل الرائع :

( ، ، - - - فنحن كشعب - لا بد لنا بصراحة أن نعترف - لا نحب فقط أن نمجد أنفسنا بحق وبغير حق ، ولكننا أيضاً نحب أن نسمع عن أنفسنا ما يرضينا ويعجبنا أو يرضي إعجابنا بذاتنا الوطنية وبشخصيتنا القومية ، بل إننا لنكره أشد الكره أن نسمع عن عيوبنا وشوائبنا ، ونرفض إيباء أن نواجهها أو نواجه بها ، ولا تكاد توجد فضيلة أو ميزة علي وجه الأرض إلا وننسبها إلي أنفسنا ونلصقها بها ، وأيما رذيلة أو عيب فينا - إن هي وجدت علي الإطلاق - فلا محل لها لدينا من الإعراب أو الاعتراف ، وإن اعترفنا بها علي مضض واستثناء فلها عندنا العذر الجاهز والمبرر والحجة المقنعة أو المقنعة ، ، ومن طريف ما يلاحظ في هذا الصدد أننا ، حين نرجع مثلاً فيما نكتب عن أنفسنا إلي كتابات الرحالة والمؤرخين العرب في العصور الوسطي أو الكتاب الأجانب المعاصرين ننتخب منها فقط تلك الإشارات الطيبة والمرضية ونحشدها حشداً كفضائل مصر مهملين ببساطة شديدة كل الإشارات العكسية أو المعاكسة التي أوردها الكاتب نفسه والتي قد تكون أضعاف الأولي كما وكيفاً ، ليس هذا فحسب أو ليت هذا فحسب فما أكثر بعد ذلك ما نقلب عيوبنا عن عمد إلي مزايا ونقائصنا إلي محاسن ، بل أسوأ من ذلك قد نتباهي ونتفاخر بعيوبنا وسلبياتنا ذاتها ، - - - ويبدو عموماً أننا زاد جهلنا بمصر كلما زاد تعصبنا لها ، بل الملاحظ أننا كلما ازدادت أحوالنا سوءاً وتدهوراً كلما زاد تفاخرنا بمجدنا وعظمتنا - - -

وكان شريف يعرف بالطبع أصدقاء والده وكثيراً ما شارك والده الجلوس معهم علي المقهي فقد كان يحبهم ويحب أيضاً أن يسعد والده بمشاركته هذا اللقاء ،

وكان شريف يعاملهم بمنتهي الأدب والذوق ، فلا يرفع صوته أبداً أثناء حديثه معهم ، ولا يخرج أحد منهم إذا أخطأ في معلومة بل كان يصححها بمنتهي الأدب وينتقي أرق الألفاظ ، أليست مصر جنة الشيوخ كبار السن كما قال علماء الحملة الفرنسية ، فهو لا ينسي أبداً ما قرأه له والده من كتاب وصف مصر تأليف علماء الحملة الفرنسية عندما كانوا يصفون مصر بأنها جنة الشيوخ ، وترجمة هذا المصطلح مقصود به كبار السن ، فقد كانت تطلق كلمة شيخ علي الرجل المسن ، فكان سلوك المصريين مع كبار السن من الأمور التي أثارت إعجاب علماء الحملة الفرنسية ولفتت أنظارهم بل وتحسر بعضهم علي حال كبار السن في فرنسا التي كانت في ذلك الوقت جنة الشباب فقط ، فمما يذكره من هذا الكتاب الممتع :

فإنه ينبغي علينا القول بأن الشرقيين وإن كانوا قد أهملوا تعلم العلوم والآداب ، فقد استطاعوا علي الأقل أن يحتفظوا ببعض آثار من العادات والفضائل البدائية ، وإلا ، فهل ثمة عند أمم الشرق ما يستوجب المديح أكثر من ذلك الاحترام العميق الذي يكونه نحو الشيخوخة ؟  
ويتميز المصري علي وجه الخصوص بهذا الشعور النبيل ، - - - - -  
وفي مقابل ذلك ، فإن المفكر يستطيع أن ينعي علي الشعوب الأوروبية - التي تطورت صناعاتها ومعارفها لحد مذهل - هذه اللامبالاة الشديدة نحو الشيخوخة - - -  
ونستعير هنا ، حول هذا الموضوع ، بعض الأفكار التي وردت علي لسان مؤلف كتاب

#### رسائل عن مصر LETTRES SUR L'EGYPTE

الذي انتقدنا بمرارة وأحياناً تحامل صارم ، وترسم أقواله بدقة ذلك الفرق الكائن بين أفكار وعادات شعوب الشرق ، وبين مثيلاتها عند شعوب الغرب ، بخصوص الشيخوخة :

إن الشيخوخة عند كل الشعوب المتحضرة ، حيث يعيش الإنسان وسط عائلته فترة أقل ، لا تلقي من الاحترام نفس ما تلقاه في مصر ، بل إنها تكاد تكون في معظم الأحيان نقيصة ، حيث ينبغي علي ذي الشعيرات البيضاء أن يصمت أمام غرور الشباب ومباهاته ، وأن يلعب دور طفل حتي يمكن تحمله في داخل نطاق العائلة ، فما أن يحس الإنسان عندنا بأن سنوات العمر قد بدأت تثقل كاهله ، حتي يري نفسه وقد أصبح عبئاً ثقيلاً علي أولئك الذين يدينون بوجودهم له ، يري نفسه وقد أنكر عليه حق الرعاية وأغلقت دونه القلوب ، وترتجف من برودة الوحدة روحه ،

أما المشاهد التي كنت أراها هنا في مصر قد اضطررتني أن أقدم لكم النقيض المقابل ، فهنا في مصر ، يبتسم العجوز وهو يلقي الاحترام ، يبتسم برغم وطأة وضعف هذه الشيخوخة - لأحفاده وهم يأتون لمداعبته ، وينشرح صدره وهو يري أربعة أجيال تهرع نحوه لتقدم إليه ما تفرضه عليها الشفقة الحنون ، فيتذوق بذلك بهجة الحياة حتي آخر لحظة من لحظات عمره ،

وفي واقع الأمر فإن الأوروبيين لا يمكنهم أن يرضوا عن أنفسهم بثقة وإعجاب عندما يرون هذا الاحترام الذي يبلغ مرتبة التقديس ، - - - فهؤلاء الناس الذين نطلق عليهم ذلك النعت المقزز المرعب : المتوحشون البرابرة ، يقدمون لنا في هذا الخصوص مثلاً يجدر بالاحتذاء ، علي أجمل الفضائل ،

فكل شئ في كبار السن يفصح عن المهابة والأهمية ، فإذا تكلموا أنصت الجميع لما يقولون في احترام شديد ،

ويترجم العرب كلمة VIEILLARD (مسن-عجوز) بكلمة : شيخ ، وهو لقب شرف يوحي بمعني التشريف والسيادة ، والكلمة الأولى في كل العائلات المصرية للأكبر سناً ، - - -

وفضلاً عن ذلك فإن الشرق - الذي نتفق علي أنه مهد الحضارات - كان مسرحاً للتقاليد الأبوية القديمة ، - -

وإذا كانت أوروبا هي وطن الفنون ومسرح ملذات الشباب ومغامراته ، فإن الشرق ، - ومصر بوجه خاص - هو علي نحو ما ، جنة الشيوخ

كان شريف يستمتع دائماً بالاستماع إلي قراءة والده من كتاب وصف مصر ، وكتاب شخصية مصر وباقي الكتب التي تتحدث عن مصر حديث موضوعي دقيق ، حتي أن حبه لمصر مبني علي أساس قوي من المعلومات والمعرفة الحقيقية عن عظمة هذا الوطن ، وليس مجرد حب سطحي إذا جاز التعبير فيردد الأغاني الوطنية بلا وعي أو إحساس حقيقي بقيمة هذا الوطن وفي أحد الليالي خلال أجازة شريف اصطحبه والده معه إلي المقهي ، وقد سلم عليه الجميع بحرارة وشوق وشعر بدفء اللقاء واستمتع بالحديث معهم ، وأثناء الحوار فاجأه عم حسين بسؤاله :

- يا تري يا شريف يا بني الخواجات أحسن منا في إيه ؟
- انتم أحسن ناس في الدنيا يا عم حسين
- كتر خيرك يا بني لكن بجد أكيد الناس دي عايشة أحسن منا لأنهم أحسن منا
- صدقني يا عم حسين الحياة هناك مجرد بريق لامع ومنظر مبهر بلا روح أو سعادة حقيقية ، وبالفعل عايشين كويس جداً لكن بالنسبة لسبل الراحة في الحياة والرفاهية لكن ده حاجة والسعادة الحقيقية حاجة تانية خالص

فقال المعلم سيد :

- أكيد عندنا حاجات مش موجودة عندهم ، يعني مثلاً مفيش هناك محل رفا فضحك الجميع ثم علق الأسطي فرغلي قائلاً لشريف:
- بس أكيد يا شريف انت بتكون مبسوط هناك اكتر من هنا
- لا أبداً ، لأنني ممكن أكون مرتاح لكن مش مبسوط
- يا بني ما الراحة هي الانبساط
- مش شرط يا عمي ، لأن في ناس كتير عايشة عيشة مرتاحة لكن مش حاسين بالرضا والقناعة بل بالعكس حاسين إن ناقصهم حاجات كتير ، وبعدين أنا عمري ما شفت هناك ضحكة رايقة زي هنا ولا حتي نكتة أو قفشة مضحكة لأن هناك لازم يكون معاك فلوس كتير علشان تسهر سهرة حلوة ، واحنا هنا قاعدين نضحك ورايقين ببلاش
- وهنا تكلم المعلم سيد ضاحكاً :

- يعني قصدك مش ناويين تدفعوا حساب المشاريب ولا إيه النهاردة

فضحك الجميع واستمر الحديث الدافئ الممتع علي هذا النحو ، ثم سأل الأسطي فرغلي شريف سؤال أثار همومه :

- انت يا شريف بتحلم بيايه لبلدك ؟
- أنا نفسي كل البلاد العربية تعمل اتحاد حقيقي زي أوروبا ، يعني نفسي أسافر من دولة لدولة من غير تأشيرات زي أوروبا ونفسي نتعامل بعملة واحدة زيهم ونفسي يكون في ممثل واحد بيتكلم باسم جميع الدول العربية زي أوروبا ونعمل شبكة كهرباء واحدة ، واحنا أحق من أوروبا من كل ده ، ده كفاية إن المؤتمر الدولي الوحيد اللي مفيش فيه ترجمة هو مؤتمر العرب ، انتم عارفين كام لغة موجودة في أوروبا
- أكيد كتير ، لكن إزاي ممكن يحصل اللي انت بتقول عليه ده ؟
- في الحقيقة مش عارف يا عمي ، وأنا فكرت كتير في الموضوع ده لكن مش عارف أوصل لحاجة

كان كلام شريف له مردود محزن لدي الجميع ، فالجميع يتطلع إلي حياة أفضل كسائر البلاد المتحضرة ، وكما يقول شريف أنهم ليسوا أقل منهم بل إنهم أحق منهم بهذا الاتحاد فالمصير واحد والتاريخ واحد واللغة واحدة فماذا ينقصنا ، هل يحرص الغرب علي أن نظل هكذا ؟ وهذا السؤال أصبح محور النقاش ، فقال المعلم سيد :

- بصراحة أنا مش مقتنع بموضوع نظرية المؤامرة دي ، لأن احنا لو عايزين نعمل أي حاجة مش حتفرق مع أي حد
- وهنا تكلم الأستاذ بهجت الذي ظل صامتاً طول الوقت يستمع في إعجاب إلي ابنه فخورا به وبأفكاره ، فقال :

- في الحقيقة يا معلم موضوع نظرية المؤامرة فعلاً في ناس كتير مش مقتنعة بيها خالص بس لما تيجي تقرأ التاريخ تلاقي العجب عن الموضوع ده

- إزاي ؟

- يعني كان مرة زمان الغرب خدع العرب خدعة مشهورة جداً وثابتة تاريخياً ، واستغلوا إن العرب مش طايقين حكم الدولة العثمانية ووعدوا العرب بالاستقلال إذا ساعدوهم في الحرب العالمية الأولى ضد الدولة العثمانية ، والعرب صدقوا الكلام ده ، لكن كل اللي حصل إنهم استبدلوا السيادة العثمانية بالسيادة الأوروبية ، لأن انجلترا وفرنسا كانوا عاملين اتفاقية مع بعض علشان يقسموا الدولة العثمانية علي بعض اسمها اتفاقية سايكس بيكو

- أيوه يا أستاذ أنا سمعت كثير عن الاتفاقية دي ، عندك حاجة مكتوبة عنها في الدفتر  
بتاعك ؟  
- أكيد طبعا ،

ثم بحث في دفتري قليلاً وبدأ في القراءة :

قام وزير الحربية البريطاني كتشنر بإرسال عرض للشريف حسين للتعاون معاً كحلف ضد الدولة العثمانية ( --- وقد وصله عرض كتشنر في 31 أكتوبر 1914 عن طريق المندوب السامي البريطاني في مصر آرثر هنري مكماهون ، الذي حثه علي الخروج عن سلطة الأتراك ، وعلي الإبقاء علي سلامة الحج للرعايا المسلمين التابعين للحلفاء وذلك بتقديم المعونة له ، وبضمانه استقلاله وسيادته في المستقبل ) وعندما طلبت منه الدولة العثمانية تحديد موقفه من إعلان الجهاد استطاع الشريف حسين المماطلة حتي يعيد ترتيب أوضاعه ويستعد للثورة ( ولما أحس القوميون العرب بمماطلة الحسين للأتراك وتيقنوا عدم نيته دخول الحرب إلي جانبهم ، سارعت جمعية العربية الفتاة بدعوته للتنسيق معها من أجل القيام بثورة عربية مستغلين انشغال تركيا في الحرب ، وقد وصلت الرسالة بالفعل في الأسبوع الأخير من يناير 1915 ---- والحقيقة أن الرسالة قد لفتت نظر الحسين إلي محور مهم يعطي موقفه ثقلاً كبيراً عند التفاوض مع مكماهون ولذلك قرر الاتصال بالقوميين العرب في الشام والعراق قبل أن يرد علي رسالة مكماهون )

وقد قام الأمير فيصل بن الحسين بالتنسيق مع القوميون العرب حيث قاموا بإعداد مخطط باسم بروتوكول دمشق وتم فيه توضيح حدود الدولة العربية التي يجب أن تعترف بها إنجلترا خلال المفاوضات ( وفي 14 يوليو 1915 أرسل الشريف حسين رسالته الأول إلي مكماهون - - والتي جاء فيها المطالبة باعتراف بريطانيا بدولة عربية بالحدود المذكورة في بروتوكول دمشق ، والموافقة علي إعلان خليفة عربي للمسلمين ، مقابل أن تعترف حكومة الشريف العربية بأفضلية بريطانيا في كل المشروعات الاقتصادية في البلاد العربية ) وكانت في هذه الفترة إنجلترا وفرنسا لم تصل إلي اتفاق نهائي بعد حول تقسيم الدول العربية بينهما

وبذلك وجد مكماهون أنه لا يستطيع تقديم وعود للحسين قبل أن تتضح الصورة في المفاوضات التي كانت لا تزال مستمرة بين إنجلترا وفرنسا والتي انتهت باتفاق الإنجليزي مارك سايكس والفرنسي جورج بيكو علي الاتفاقية التي تم تسميتها بألقابهما سايكس - بيكو وبالتالي قام مكماهون برد غير حاسم ووعود تشجيعية ولكنها غير محددة

وأضاف الأستاذ بهجت ساخرا : لكن علي مين ، فقد أصر الحسين في رسالة بتاريخ 9 سبتمبر 1915 إلي مكماهون علي أن مسألة الحدود لا تحتمل المراوغة مما اضطر مكماهون إلي أن يكذب علي عمك الحاج ويعده في 15 أكتوبر 1915 بالاعتراف باستقلال العرب طبقاً للحدود

الواردة في رسالة الحسين مع بعض التعديلات البسيطة وبعد قليل من الأخذ والرد بخصوص حدود الدولة العربية التي كان يحلم بها الحسين تمت الموافقة بين الطرفين (وعلي هذا الأساس دخل العرب الحرب العالمية الأولى ، عندما أعلن الشريف الحسين بن علي الثورة في 10 يونيو 1916 ) وطبعاً كانت إنجلترا وفرنسا قد وقعتا اتفاقية سايكس-بيكو التي قسمت فيها التورثة العثمانية بالهنا والشفاء بدون علم الشريف حسين طبعاً وابقى سلم لي علي الدولة العربية ، وهكذا أوقع الإنجليز بين العرب والترك اللذين كانا يمثلان معاً الدولة الإسلامية الكبرى في ذلك الوقت ،

كان الأستاذ يقرأ أحياناً ويعلق علي ما يقرأ أحياناً آخري وكان الجميع ينصت في ذهول لما يقول واستمر في القراءة والتعليق :

( وهاجمت القوات العربية ثكنات الجيش التركي في كل مدن الحجاز وفي أقل من ثلاثة أشهر نجح الجيش العربي في الاستيلاء علي مدن الحجاز جميعها ، ما عدا المدينة المنورة التي استماتت الحامية التركية في الدفاع عنها ---- وبعد أن تمت السيطرة علي معظم المدن الرئيسية في الحجاز تدعم الجيش العربي نتيجة لفرار كثير من الضباط العرب من الجيش العثماني وانضمامهم إلي الجيش العربي ، ونجحوا في إعادة تنظيمه علي أسس الجيوش النظامية ، كما أمدتهم إنجلترا بالأسلحة والمعدات ، وفي يناير 1917 بدأت القوات العربية تتقدم شمالاً نحو الشام ---- وبعد أن تأكدت إنجلترا من اشتراك العرب في الثورة ومن تورط الشريف حسين في الحرب ضد الأتراك بحيث انقطع عليه خط الرجعة ، سارعت بتوجيه الطعنة الثانية - بعد سايكس بيكو - إلي العرب فأصدرت في 2 نوفمبر 1917 تصريح بالفور الذي ينص علي إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ) يا عيني علي الحلاوة شفت إزاي ، المهم يا سيدي الحرب استمرت وكان القائد العثماني في الشام واحد اسمه جمال باشا وقد حاول جمال باشا أن يوضح للعرب الخدعة التي قام بها الإنجليز ضدهم ولكن دون جدوى ( حيث وجد نفسه معرضاً لخطر مواجهة جيشين في وقت واحد : الجيش العربي يقوده فيصل بن الحسين ويتقدم من شرق الأردن نحو دمشق ، والجيش البريطاني يقوده الجنرال اللنبي ويتقدم من القدس -بعد أن نجح في احتلالها - فأرسل جمال باشا إلي فيصل برسالة في 12 ديسمبر 1917 تحتوي علي نص اتفاقية سايكس بيكو التي نشرت في الصحف الروسية ، ويوضح له أن التعاون مع الحلفاء لن يؤدي إلي استقلال العرب كما يعرض عليه عقد الصلح بين العرب والأتراك ، لمواجهة أطماع الحلفاء التي أصبحت مكشوفة للعيان ويطلب من فيصل الحضور إلي دمشق للتفاوض علي أساس منح الولايات العربية حكماً ذاتياً كاملاً تتحقق به جميع أمانهم القومية )

وطبعا هذه الرسالة كانت صدمة لعمك فيصل وعلشان كده قام بإرسالها إلي والده الحسين فقام الحسين ---- تفكروا بماذا قام الحسين --- ؟

لقد قام بإرسال هذه الرسائل إلي المندوب السامي البريطاني في مصر في ذلك الوقت ريجنالد وينجت يطلب منه تفسير لها ، وطبعا وينجت شكره علي أنه أطلعته علي هذه الرسائل وأكد له أنها كانت مجرد محادثات مؤقتة لم تتم وإن جمال باشا كمان قام بالتبديل فيها فلا تجعله يخدعك (فهذه مهمتنا نحن فقط ولا مؤاخذه) - ولا تقلق تماماً فكله تمام وكل حاجة ماشية حلو علي الآخر وشوية كلام من الأونطة ، ( وتقبل الملك حسين الرسالة والمذكرة علي ظاهرهما وقعد مستريح البال لأن إيمانه بالمعاملة النظيفة في مقاييس الخلق الإنجليزي لم يكن قد تزعزع بعد) وكما حدث مع سايكس بيكو حدث بعد ذلك عندما علم الحسين بوعد بالفور لليهود وقام أيضاً بالاستعلام عن حقيقة الأمر من الحكومة البريطانية ( وقد أرسلت الحكومة البريطانية القائد هوجارث ليقابل الملك حسين في جدة ويشرح له الهدف من التصريح ، وقابله بالفعل مرتين في يناير 1918 ، وأكد له باسم الحكومة البريطانية أن الاستيطان اليهودي في فلسطين لن يكون مسموحاً به إلا بقدر ما يتفق ذلك مع حرية السكان العرب من الناحيتين الاقتصادية والسياسية ، وعلي هذا الأساس وافق الحسين علي أن يهيئ لليهود في فلسطين ملجأً آمناً من الاضطهاد ، ولكنه أكد علي أن مسألة التنازل عن مطالب السيادة للعرب لن تكون موضع بحث أبداً )

، وانتهت الحرب وتم تنفيذ اتفاقية سايكس بيكو ولم يحصل العرب علي أي شئ وكل ما فعلوه استبدال النفوذ العثماني بالنفوذ الأوروبي  
ويقول الدكتور طه حسين عن هذا الموضوع

( تبين الياثسون البائسون أنهم لم يخرجوا من بؤسهم ذاك إلا ليفرض عليهم بؤس أشد منه ، وأي بؤس أشد نكراً من أن يتحكم الأجنبي في حياة الناس وأرزاقهم ومصالحهم ، وفي آمالهم ومستقبلهم ، كانوا عبيداً أو كالعبيد لقوم يمتون لهم ببعض الأسباب ، فأصبحوا عبيداً أو كالعبيد لقوم ليسوا منهم في قليل ولا كثير ، يختلفون عنهم في كل شئ ولا يقاربونهم في شئ )

كان كلام الأستاذ مفاجأة للجميع فقد كان يحاول إقناعهم بأن نظرية المؤامرة لها أصل في التاريخ وأن الذي يحرك الدول الكبرى مصالحها فقط وليس أي شئ آخر ، وإذا كانت مصالحها وأمنها القومي سيتحقق بخداع دول أخرى فلا مجال هنا للتردد أو مراعاة القيم والمبادئ

وصمت الجميع كعادتهم بعد كل محاضرة دسمة للأستاذ وبعد قليل انصرفوا إلي بيوتهم ونعود للأنسة نهي التي في صباح اليوم التالي تلقت اتصالاً هاتفياً من حشمت بك شخصياً يدعوها للحضور إلي الشركة لأمر هام

وكانت نهى بعد تفكير عميق قد اتخذت قرار بالاستقالة من الشركة وفضلت حياتها الخاصة علي أي شئ آخر ، وكانت مكالمة حشمت بك محرجة جدا فهي لا تعرف ماذا ستقول له فقد كانت عازمة علي أن تذهب في هدوء إلي الشركة وتقدم استقالتها في صمت للأستاذ رأفت أو تتركها مع الأستاذ رامي أو زميلتها رشا دون أن تواجه حشمت بك ثم تجمع متعلقاتها الشخصية وتنصرف في هدوء ، فإذا بهذه المكالمة تضطرها لمواجهته وهي غير مستعدة لذلك وبالفعل ذهبت إلي الشركة وتوجهت إلي مكتبه فاستقبلها بترحيب أبوي ، وطلب منها أن يغادر الشركة إلي مكان آخر للحديث بشكل غير رسمي ، وبالفعل اصطحبها إلي أحد الفنادق الفاخرة علي النيل وبدأ الحديث معها بأسلوب هادئ شعرت معه أنه يتكلم كإنسان وأب وليس كرجل أعمال يملك العديد من الشركات والمصانع ونقل لها شعوره كأب ومدى قلقه علي ابنه الوحيد ، وأخبرها بتفاصيل مرضه ، وكاد أن يستعطفها ويرجوها أن تضحى من أجله وتقبل الزواج من ابنه ، وكانت نهى تستمع لحشمت بك وهي لا تصدق نفسها ، ولم تكن تتوقع أبدا أن تصل الأمور إلي هذا الحد ، وكانت لا تعرف كيف ترد عليه وحاول حشمت بك إقناعها أن ابنه سامر ليس كما يبدو بل إنه إنسان طيب جدا ويحاول أن يظهر بهذا المظهر علي خلاف حقيقته ليجاري أصحابه التافهين الذين يحيطون به ، وأكد علي أنها تستطيع ترويضه والسيطرة عليه بسهولة وتغيير الكثير من سلوكياته ولم تستطع نهى أمام كل هذا الكلام أن تعتذر ووعدته بإعادة التفكير في الموضوع ، وأنها ستصل به بمجرد أن تتخذ القرار المناسب ، وانتهى اللقاء علي ذلك وفي المساء جلست نهى جلسة عائلية مع والديها وأخيها الأصغر لتقص عليهم ما حدث وتعرف رأيهم ، ففوجئت بأن والديها يعرفان كل شئ عن الموضوع ، حيث أخبرها أبوها أن حشمت بك قد اتصل به وقص عليه القصة كاملة وعرض عليه موضوع الخطوبة ولكنه أكد أنه لن يتم شئ من هذا إلا بعد تفكير نهى وبعد أن تتخذ قرارها بنفسها ونصحها أبوها بالموافقة علي الخطوبة وهي فترة تسمح لكل منهما بدراسة الآخر عن قرب قبل الزواج وأنها لن تخسر شيئا ، وتم النقاش العائلي في هدوء وفي النهاية وافقت نهى علي الخطوبة ، وتم بعد ذلك تحديد موعد لزيارة حشمت بك وابنه لمنزل خورشيد بك لطلب يدها ، وتمت الخطوبة في هدوء في حفل عائلي محدود في فيلا خورشيد بك اقتصر علي أفراد العائلتين فقط بناء علي رغبة نهى ، ولكن حشمت بك أصر أن يتم نشر خبر الخطوبة في أحد الجرائد اليومية وهذا ما تم بالفعل

وعلي المقهي أمسك الأسطي فرغلي بالجريدة وقرأ علي الحاضرين الخبر في سعادة وتفاؤل ، لأن  
حشمت بك يعني له الكثير هو وشركته

واندهش الأستاذ بهجت من حفل الخطوبة الصغير وتساءل لماذا لم يتم حفل كبير في أحد قاعات  
الفنادق الكبيرة ؟ فقال الأسطي فرغلي :

- أصل الأنسة نهى دي بنت عاقلة وراسية ومش عايزة تعمل دوشة ويمكن حاسة إن  
الخطوبة دي مش حتطول

- ليه بس بتقول كده ؟

- ده الشركة كلها بتقول كده لأنهم عارفين سامر بك كويس

فقال المعلم سيد :

- مين عارف يمكن تقدر تغيره بذكاء ها اللي بتقوله عليه

فقال عم حسين

- بالمناسبة السعيدة دي عايزين حكاية فرح من أفراح التاريخ زي فرح قطر الندي كده

- ممكن أحكي لكم عن أفراح الأنجال

- أنجال مين ؟

- الخديوي اسماعيل

- هو مفيش في تاريخ مصر غير الخديوي اسماعيل ؟

- الخديوي اسماعيل كان شخصية ثرية جداً ويمكن تأليف مجلدات عنه يعني ما كانش

شخص عادي رغم وقوعه في أخطاء كثير ، وأنا ممكن أقرأ لك مثلاً اللي كتبه قنصل

أمريكا لما قابله ووصفه ووصف المقابلة علشان تتعرف أكثر عليه

- وهو كذلك

ففتح الأستاذ بهجت دفتره والذي جمع فيه عصير الكتب كما يقال وزهرة من كل بستان كما أسماه

وأخذ يقلب صفحاته ثم قرأ :

كان قنصل أمريكا في مصر في الفترة الواقعة بين 1876 حتى 1881 هو "ألبرت لي فارمان"،

المعاصر للسنوات الأخيرة من عهد الخديو إسماعيل؛ الذي إستمر من 18 يناير 1863 حتى

عزله ونفيه خارج البلاد 26 يونيو 1879، ومن الآثار المفيدة لهذا القنصل كتابه بعنوان :

EGYPT AND ITS BETRAYAL، ترجمه الأستاذ عبد الفتاح عنایت بعنوان "مصر وكيف عُدر

بها"؛ يقع الكتاب في 377 صفحة و 24 فصلا يصف القنصل الأمريكي "فارمان" بالتفصيل أول

واجب قام به في القاهرة، عند وصوله إليها 1879،

وهو زيارة الخديو إسماعيل، في "قصر الجزيرة" الواقع على الشاطئ الغربي للنيل في مواجهة المدينة ، بالقرب من حديقة الحيوانات وحدائق النباتات، ويسهب في وصف الخديو إسماعيل: "... رحب بي الخديو في بلاده ولما كان لا يتكلم الإنجليزية فقد كانت محادثاتنا باللغة الفرنسية التي كان يتكلمها بطلاقة. لم يكن إسماعيل باشا جذابا من الناحية الجسمانية، كان يبلغ من العمر حوالي السابعة والأربعين، قصير القامة، عريض المنكبين، ضخم الجثة، ولون بشرته أكثر سمرة من بشرة الأوروبيين، أما جفونه فكانت مرتخية، وكانت اليسرى أكثر إرتخاء من اليمنى، وعندما تكون ملامحه ساكنة تبدو عيناه وكأنها نصف مغلقة، وكانت حواجبه فاحمة اللون، خشنة، كثة الشعر وبارزة إلى الأمام، أما لحيته البنية الداكنة فكانت قصيرة، وأذناه كبيرتان وليست من الحسن بمكان" -

. لكنه في محاولة لإنصاف إسماعيل يشهد بأنه: "... رغم كل نقائصه و مساوئه الجسمانية كان محدثا ممتعا، يبتسم في كثير من الأحيان، بشوشا دائما ومثيرا للإهتمام. كان صوته هادئا يبعث على السرور وألفاظه منتقاه ومعبّرة، فائق الذكاء ولديه معلومات دقيقة حتى عن التفاصيل التي تخص حكومته وشؤونه الخاصة الشاسعة، وتبرهن نظراته الحادة الثاقبة، حينما تكون عيناه مفتوحتين من أثر حديث شائق، وإجابته السريعة الدقيقة، ومعلوماته الخاصة بموضوعات ليس من المفروض أصلا أن يكون ملما بها، تبرهن لكل هؤلاء الذين استمتعوا بالحديث معه أنه رجل يمتاز بقدرة غير عادية .... ، أضف إلى ذلك أنه كان يملك القدرة النادرة على أن يكتسب ثقة زائره بأن يزيح عن كاهله كل حرج ممكن ويجعله على طبيعته تماما..."، في نهاية هذا الفصل يقول فارمان: "... قبل حفل الإستقبال الرسمي الذي أقيم لي، كثيرا ماقتت بزيارة الخديو الذي أشعرتني بأني على صلة وثيقة بسموه .... وكان ينبغي على أكثر من مرة أن أقوم بواجب غير سار وهو المطالبة غير الرسمية، وإن كانت بطريقة ملحة، بدفع التعويضات الأمريكية ضد الحكومة المصرية، وكانت الحكومة المصرية في ضائقة مالية شديدة ولذا كان مجرد ذكر أي تعويض مالي لا بد وأن يسبب بعض الضيق،

فقال المعلم سيد :

- معقول كل دي معلومات عن الخديوي اسماعيل ، ده احنا ما نعرفش حاجة خالص عن

تاريخنا

ثم قال الأسطي فرغلي :

- وإيه بقي المكتوب عن أفراح أولاده ؟
- قصدك أفراح الأنجال ، اسمع يا سيدي اللي كتبه عمنا جمال بدوي الله يرحمه عن الموضوع ده في كتاب اسمه أنا المصري :

من الأقوال المأثورة عن الخديو توفيق في وصف أبيه إسماعيل :

لن يأتي الزمن بمثله في أبهة الملك وفخفته السنية -

وهو وصف صحيح يمثل شخصية إسماعيل أصدق تمثيل ، وكل ما تسمعه من أوصاف خيالية عن ألف ليلة وليلة تتواضع إلي جانب ليالي إسماعيل وحفلاته الصاخبة وسهراته المخملية ،

كان إسماعيل يلتمس - بل يفعل - المناسبات السعيدة لإقامة الحفلات ،

وإذا كانت احتفالات افتتاح قناة السويس قد بهرت ملوك أوروبا وأميراتها فإن أفراح الأنجال فاقت الأولي في بذخها وإسرافها وتواصلها أربعين يوماً بلياليها ، ولا ننسي أن أفراح الأنجال أقيمت بعد أربع سنوات من حفلة القناة ، والأنجال الأربعة كانوا ثلاثة ذكور وفتاة ، أولهم ولي العهد توفيق وعروسه الأميرة أمينة والثاني الأمير حسين كامل وعروسه الأميرة عين الحياة والثالث الأمير حسن واختار له أبوه عروسه الأميرة خديجة وفاء لوعده قطعه لها ،

ولهذا الوعد قصة طريفة ، بدأت عندما كان الخديو يتفقد الدراسة في مدرسة البلاط التي أنشأها لتعليم الأميرات ، ولما وجد التلميذة خديجة أخذ يحثها علي الاجتهاد في تحصيل العلم وحفظ القرآن وبعد سنوات ذهب الخديو لزيارة المدرسة وسأل خديجة عما حفظته من القرآن الكريم فأجابت علي الفور :

واذكر في الكتاب اسماعيل إنه كان صادق الوعد ،

وانبسطت أسارير الخديو لذكائها وحسن تصرفها ، وضحك قائلاً : أجل لن أنسي وعدي واختارها زوجة لابنه حسن ،

أما الابنة الوحيدة التي احتفل الخديو بزواجها فهي الأميرة فاطمة وهي التي سجلت اسمها في التاريخ بسبب التبرعات القيمة التي قدمتها لإنشاء الجامعة المصرية ، ووقائع أفراح الأنجال رواها مؤرخ عصر إسماعيل إلياس الأيوبي نقلاً عن الكتاب الأوروبيين الذين شاهدوا الأفراح ، وبدأت الاحتفالات يوم 15 يناير 1873 واستمرت أربعين يوماً بمعدل عشرة أيام لكل واحد من الأنجال ، وزينت الشوارع الممتدة من القصر العالي إلي قصر الجزيرة ، إلي سراي القبة ، بالنجف والفوانيس المختلفة الألوان ، وفي نهايتها أقيمت أقواس النصر تعلوها الشموع ، فسطعت الأضواء حتي جعلت القاهرة شعلة من النور ،

وفي أهم الميادين أقيمت المسارح للفرق الموسيقية والغنائية وأهمها فرقة عبده الحامولي ، وفي اليوم الخامس عشر بدأ خروج الهدايا المقدمة من الوالدة باشا وزوجات الخديو إلي العرائس من القصر العالي وبدأ موكب شوار عروس ولي العهد في حراسة صفوف الفرسان وآلاي من المشاة في ملابس بيضاء ناصعة ،

وكانت الهدايا عبارة عن مجوهرات وقلائد من الماس من نوع البرلنتي ومناطق من الذهب الخالص وأقمشة مطرزة باللؤلؤ وزمرد في حجم البيض وأنية متنوعة من الفضة الصب وكان من بين الهدايا المقدمة من الخديو لولي عهده سرير من الفضة الصب الخالصة محلاه بماء الذهب الأبريز وعواميده الضخمة مرصعة بالماس والياقوت الأحمر النادر والزمرد والفيروز واجتاز الموكب شوارع العاصمة ولم يختلف شوار الأميرات عين الحياة وخديجة وفاطمة عن شوار الأميرة أمينة

فعلق المعلم سيد قائلاً :

- ده ولا ألف ليلة وليلة يا جدعان

ثم قال عم حسين :

- وجاب الفلوس دي كلها منين ؟

فأجاب الأسطي فرغلي :

- أكيد فلوس البلد طبعاً اللي وارثها عن أبوه

واحتدم النقاش بين الحاضرين إلي أن حسمه الأستاذ بهجت بقوله :

- وهنا أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

وانتهت الأمسية وغادر كل منهم إلي منزله

نعود إلي العروسين اللذين كانا السبب في فتح موضوع أفراح الأنجال ، نهي وسامر ،

كان سامر في قمة الفرحة بارتباطه بنهي ، التي مع الوقت بدأت تكتشف أبعاد جديدة في شخصيته ، فهو يكاد يكون ساذج تماماً ولكنه عنيد بعض الشيء ، وكان متعلق بها إلي أبعد الحدود فقامت باستغلال ذلك في السيطرة عليه تماماً ، حتي أنه أصبح لا يفعل أي شيء إلا إذا اتصل بها وطلب رأيها ، وكان حشمت بك يتابع تطور العلاقة بينهما باستمرار ، وكلما ازدادا قرباً كلما ازداد هو سعادة ، فهو لا يستطيع الانتظار ويود لو يجعل من أمر الزواج ،

علي الجانب الآخر كان شريف ابن الأستاذ بهجت يستعد للسفر بعد أن اقتربت نهاية أجازته ،

وكان في حاجة إلي تجديد جواز سفره ، ولكنه واجه بعض الصعوبات مما يهدد سفره للخارج وفي يوم من الأيام فوجئ المعلم سيد وعم حسين علي المقهي بالأستاذ بهجت قادماً وهو مرتبك ارتباك شديد ، ويكاد يتنفس بصعوبة من سرعة الحركة التي جاء بها ، وما إن جلس بجوارهم طلب من المعلم سيد في لهفة ورجاء أن يساعده في إنهاء إجراءات سفر ابنه شريف ، عن طريق معارفه وعلاقاته فقال له المعلم سيد باسمًا :

- طيب والذكاء الفردي يا أستاذ ؟

- أنا في عرض الذكاء الفردي يا معلم

- طيب وشياشكو
- يقطع شياشكو علي اللي جابوا شياشكو